

التنظيم اليساري ودوره في الرد على القمع

طُرحت الاحداث الاخيرة التي عرفتھا المنطقة العربية على الحركات اليسارية مشكلة حادة هي مشكلة الحدود التي تفرضھا السلطات على التعبير عن موقف سياسي معين . ففي ظروف كالظروف التي نعيشھا تدخل المعتزك السياسي جماهير كانت اما غائبة عنه ، او كانت تعيش على هامشه . ذلك ان اثر الاحداث في الحياة اليومية العادية يتحول عن الطابع الخفي ليصبح مرئيا ، تضخمه ردود فعل ومواقف تعجز عن تستيره . هذا الامر يمس فئات اوقطاعات من الجماهير كانت تكتفي ، في الظروف العادية ، بالتعليق المتائف او الاحتجاج العابر . ولكن الازمة ، وانصباب الاحداث حول جانب واحد او جوانب مترابطة ، تفسح المجال واسعا امام تعبير يختلف نوعيا عن التائف والاحتجاج . لذلك كان لبنين ، مثلاً ، يرى في الازمات السياسية العربي السياسي للجماهير يعلمھا في فترة ايام ما لا تعلمه السنوات الطويلة من الحياة السياسية العادية والشرح الدائب .

كيف واجهت الحركات اليسارية اللبنانية هذه الظاهرة التي عرفھا لبنان بدوره ؟ ليس هنا مجال معالجة مضمون ردود الفعل وانما الشروط العامة او الوسائل التي تحمل ردود الفعل هذه الى الجماهير . على اثر اغلاق خليج العقبة في وجه السفن الاسرائيلية او التي تتعامل مع اسرائيل وزعت الاحزاب اللبنانية (اليسارية) بيانات تدعو فيها ، بصورة عامة للاستعداد للمعركة ، وتسترجع عددا من المطالب التي كان قد طرحھا كمال جنبلاط : تسليح القرى الامافية ، التعبئة العامة ، الدفاع العربي المشترك . . . في الفترة التي طرحت فيها هذه الشعارات كان بالامكان اعلانھا على صفحات الجرائد والمجلات . وهذا ما حدث بالفعل ، وعادت المجلات اليسارية فنشرت نفس البيانات التي كانت قد وزعت قبل ايام . هذا يعني ان المبرر الوحيد لاصدار بيانات هو السرعة في الاستجابة او في تأكيد مواقف منتظرة . في اليوم الثالث للاعتداء الاسرائيلي قامت السلطات اللبنانية واعلنت حالة الطوارئ ولا سيما المراقبة على المطبوعات . كان هذا التدبير ، بالنسبة لكل الفئات اكانت يسارية ام يمينية وان تفاوت الشره ستارا يحول دون اتخاذ مواقف ترفض السلطات المسؤولية (عن الحفاظ على النظام كله) ان تطرح حتى على بساط البحث لانھا لا تتفق مع تدابيرھا ، اما انها تتجاوزھا وبالتالي تفضع تفصيلھا ، واما انها ترى في تدابير الحكومة مبالغة في " التقدمية " فتخرجھا . من وجهة نظر يسارية كانت الرقابة تدبيرا يرمي الى ضرب الحريات الديمقراطية في الوقت الذي اتت فيه تدابير اخرى لتحمي المصالح الاجنبية والمصالح الخاصة عامة . كيف كانت ردود فعل اليساري في المجال الاعلامي ؟ رضخ اليسار للتدبير وقبل بان تكون الوسيلة الوحيدة لمخاطبة الجماهير هي الصحف المراقبة ، الصحف التي تقرأھا ويباركھا ، وبالتالي لا يرى فيها ما يثير التخوف ، موظفون يمثلون موقف السلطات اذا كان هذا لا يعني ان الرقابة تسمح للصحف اليسارية بالصدور ولانھا تمثل السلطات ، فانه يعني مؤكدا بان مواقف اليسار المسموح بها تقع في الحيز الذي رسمته السلطات والذي تستطيع في حدوده ممارسة دورھا الطبيعي : الحفاظ على النظام كله ، مرة اخرى . لا شك ان . . . استغلال اليسار للاعلام العلني امر مشروع لا مجال لنقاشه ، ومن الغباء العزوف عنه ولكن الامر الذي يدعوا للتساؤل هو قنوع اليسار بالاعلام العلني ، اي بالحدود التي يفرضھا توازن السلطة . حتى بتنا نشاهد امرا عجبا : صحف اليسار تكاد تخلو من المراقبة . ولكن وراء هذا " العقل " كله موقفا سياسيا ينبغي نقاشه . ان احجام القوى اليسارية عن اتخاذ موقف قاطع من اجراءات السلطة كان يمليه خوف من رد قاطع من السلطة بفرضه عليه (اي على اليسار) اللجوء الى العمل السري ، معرضا التنظيمات اليسارية ، واكثرھا شبه علني ، الى صدمات ارتات هذه التنظيمات الا تعرض نفسها لها . ولكن هل اعتبارات هذا الموقف سليمة . انه ينبع من الاعتبارين التاليين :

١- ان التنظيم هو الوسيلة التي لا يمكن للطبقات التي يمثلھا (من بورجوازية صغيرة وطبقات متوسطة وطبقة عاملة) ان تتحلّى عنها . من وظيفة التنظيم هذه يستنتج ان التنظيم هو ما ينبغي تقديره حتى على المصالح التي يفترض فيه تمثيلھا . وبجدة ان ضرب التنظيم هو نتيجة محتومة لاعلان موقف يتنافى مع ما تقبله الرقابة ، تقبل التنظيمات اليسارية باوضاع تخدم بشكل مباشر المصالح التي تبرر محاربتها وجود اليسار . مما يؤدى الى وضع متناقض ، يقضي تناقضه على وظيفة

اليسار ويحشره في طريق مسدود : التخلي عن فصح نظام عميل مقابل قبول النظام بوجود
تنظيمات فقدت مبرر وجودها .

٢- من الممكن بث موقف صريح من الاوضاع في صفوف المنظمين وفي صفوف الفئات التي تدور
في فلك التنظيم . ولكن من الواضح ان حجة كهذه تتناسى الظروف الخاصة التي تعطي
الموقف معناه . هذه الظروف هي التي توسع مجال العمل وتدفع بحدوده الى الوراء بحركة
متسارعة تشمل جماهير جديدة ينبغي استغلال موقفها العفوى ، المباشر ، وحملها على اتخاذ
موقف واع يستطيع الصمود والاستمرار في حال انحسار الموجة وعودة ما يدعى " حياة طبيعية " .
تسمح للاستغلال بنوم هاني . وواضح ان الجواب الثاني لا يختلف عن الاول اذ انه يجعل
من التنظيم هدفا لا وسيلة .

هذا الموقف ، بدوره ، يكشف عن جوانب تستر عادة باللفظية الثورية او باشكال في
التنظيم ولدت مع طرح قضية تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي تغييرا ثوريا . ما الذي
يبرر التنظيم السري اذا لم يكن هذا التنظيم ردا على الحكم البوليسي الملازم لسيطرة راس
المال ؟ لم تكن السرية يوما ، في المنظار اللينيني ، وسيلة لفرض علاقات مركزية داخل التنظيم
تخيف الديمقراطية ، اى حرية النقاش وافتاحه ، وانما ضرورة تجعل من التنظيم كله اداة
سريعة العمل صلبة المكسر . وفي تاريخ الحركات العمالية امثلة لا تحصى على استعمال
السرية ، لحل اوضاعها انكماش العمل العلني بعد الاضطهاد البوليسي الذي لجأت اليه القيصرية
بعد ثورة ١٩٠٥ ، في روسيا .

هذه الامور التي انطلق طرحها من مشكلة تتعلق بالجانب " التقني " من العمل
السياسي ، تعود في نهاية المطاف . لتطرح مشكلة سياسية بحتة تتعلق بمنظار العمل
اليساري اللبناني كله وبأسلوبه : جلي ان هذا اليسار يتردد في طرح موضوع دوره في عملية
تغيير النظام ، عملية لا شك انها طويلة المدى ولكنها اذا لم تبدأ منذ اليوم ، عبر الظروف
الراهنة لكل قضية ومرحلة ، فانها لن تبدأ ابدا .

××××××××××××××××

مرة اخرى تاتي الاحداث مؤكدة عجز اليسار اللبناني عن مواجهة مسؤولياته .
ومشيرة الى الهوة البعيدة التي تفصل اليسار اللبناني عن العمل اليساري الصحيح . لقد
برهنت الازمة التي مرت وتمر بها الدول العربية بشكل عام ، (لبنان بشكل خاص) ان هذا
اليسار يعيش على هامش الاحداث . بل انه يسير في مؤخرتها بدلا من الاضطلاع بدوره
الاساسي ، الذي هو برر وجوده اصلا ، اعني القيام بدور القائد الجماهيري ، المسؤول عن
اتخاذ الخطوات الصحيحة اثناء الازمة . وتوضيح طبيعة المعركة وابعادها الحقيقية حتى
تكون الطبقات الكادحة على بيئة من امرها . قدرة على ان ترى بوضوح وسط غياهب الغش
والخداع ، لكي تكون من ثمة قادرة على الدفاع عن مصالحها ضد مصالح اليمين والرجعية .
لقد جرت اثناء الازمة سلسلة من الاحداث فتحت امام اليسار اللبناني مجالا رحبا
للعمل ومنحته فرصة نادرة لاجتنامها والاستفادة منها في تعزيز صلتها بالطبقات الكادحة ،
وتوضيح هويته كناطق باسمها . هذه الاحداث كانت غائبة عن نظر المواطن العادي (في
الظروف العادية) لما كان اليمين قد احاطها بهالة من المخاتلة والخداع لكي يخفي حقيقتها
عن اعين الشعب .

الا انه اذا كانت الازمات محكا من خلاله الفخ من السمين فان هذا المحك يلعب
دوره في كشف حقيقة اليمين الرجعي المتخفي من جهة ، وحقيقة اليسار (قوته او ضعفه)
من جهة اخرى . فاليمين والرجعية يجدان في الاحوال الطبيعية ميدانا مناسباً لمزاولة عملهما
في خلق الشعب ونهبه ثم التظاهر بمظهر الضيوع على المصلحة العامة وازدهار الوطن ،
ولا يمكن كشفهما على حقيقتهما (على صعيد جماهيري واسع) الا خلال الازمات التي تهدد
التوازن القائم . ومن البديهي ، اساسا ، ان دور الحركات اليسارية ، هو القيام ، يوميا ،

ومن خلال كل ثغرة ، بفضح عملية الخداع التي يلعبها اليمين ، وبفضح تأمره على مصالح الشعب واستثنائه (وهو الاقلية) بمنتوج جهد الطبقات الكادحة (التي تشكل الاغلبية الكبرى المستغلة) لكن عملية الفضح اليومية هذه لا يمكن تصميمها على نطاق جماهيري واسع ما دام التوازن قائما وما دامت الاوضاع طبيعية من هنا اهمية الدور الذي على اليسار ان يقوم به في اوقات الازمات التي تهدد هذا التوازن . ولنتتبع سير الاحداث في الازمة الاخيرة منالبدء ، لنرى ماذا كان موقف الحركات اليسارية منها .

حتى نهار الاثنين ٥ حزيران اي يوم وقوع الحرب بالذات لم يحرك اليسار اللبناني ساكنا . لكنه ، وقد نقل الصمت وغدا مثارا للتساؤل ، رأى ان عليه ان يفعل شيئا . تنادى اقطاب جبهة الاحزاب والشخصيات ٠٠٠ الى عقد مؤتمر دار فيه نقاش حول طبيعة الازمة وواجباتهم حيالها ثم خرجوا عن بيان مشترك . قلنا ان اليسار رأى ان عليه ان يفعل شيئا . نعم . وقد كان هذا البيان هو كل ما قام به اليسار من عمل .

الاعتراض ليس على المؤتمر الذي عقد ولا على البيان ، ولا على ما جاء فيه . لكن الامر الذي لا بد من الاشارة اليه هو ان بيانا كهذا البيان ، في ازمة كهذه الازمة ، لا يعد وان يكون ثرثرة لفظية وكلاما في كلام ما لم تتخذ التدابير اللازمة لمتابعتها وتنفيذ ما جاء فيه ، وما لم تشكل لجنة تعمل مع المنظمات الفعالة في كافة الحركات اليسارية على ايجاد الوسائل والطرق التي تساعد على تعبئة الجماهير وفق رؤية واضحة سليمة لابعاد المعركة ، وما لم يسع اليسار بمنظوماته الى قيادة الناس الذين ينبغي اليسار تمثيل مصالحهم لتنفيذ ما جاء في البيان . لكن شيئا واحدا من كل ذلك لم يحدث . ولسنا نرى ضرورة في التاكيد على ان ما يفتقد اليه ليس سيلا من المطالب والشعارات ، فنحن نشكو من تخمة مطالب وتخمة شعارات ، حتى اصبحت عادة فقح الخطابات ، واصدار البيانات المحشوة بالمطالب ، وطء الحيطان بالشعارات (دون ان يتبع ذلك اى وسيلة لايضاحها في اذهان الجماهير ، او تنفيذها ، كلها او قسم منها) اصبغ ذلك عادة قبيحة اذ من عليها يسارنا النشيط وغدت بالنسب اليه حرفة لا يتقن غيرها .

ان ما نود ان نخلص اليه هو ان جبهة اليسار عند ما تصدر في مؤتمرها بيانا ثم تكفي بلفظية البيان دون العمل (او المحاولة) على نقله الى حيز التنفيذ فانها بذلك تسجل خطئين : اولهما الاكتفاء بالنضال الكلامي بكل ما في ذلك من تجاهل لاهمية المسؤولية المطلقة على عاتقها في ازمة كهذه تتطلب تصرفا عمليا . وثانيهما : تعويد الجماهير على هذه النوعية من النضال (خاصة بعد تكرار هذا النضال اللفظي حتى غدا من فللكلور اليسار اللبناني) بحيث تصبح الجماهير لا تثق فيما بعد بما يصدر عن المنظومات اليسارية من بلاغات وبيانات . هذا ما كان من امر المؤتمر ومن امر البيان . وفيما عدا ذلك فلم يصدر عن جبهة اليسار اى عمل ايجابي ، الا اذا اعتبر السكوت والقصور في البيوت عملا ايجابيا .

١٠ الاحداث التي تواترت بسرعة على نحو ما نعلم قد فاجأت اليمين اللبناني ، الذي كان حتى الساعات الاخيرة التي سبقت اندلاع الحرب يعتقد ان عمليات حشد الجيوش ما هي الا للاستهلاك المحلي ، وقد وضعته المعركة في وضع حرج اضطر معه الى التصرف بسرعة وتبلبل للسير مع الاحداث . ولم يكن من الممكن ، في بادئ الامر ، ان يتف اليمين المتطرف بعد ان فوجيء بجدية المعركة موقفا مفضوحا ، خاصة وان قادته كانوا يرجحون انتصار الدول العربية ، فسارع مثلا (الاحزاب الرجعية الى اصدار البيانات الوطنية التي تؤكد وقوفهم مع الحق العربي ، وتعرب عن استعدادهم لخوض المعركة وتندد بشكل خجول وحيي بالصهاينة واعوانهم . ثم تجلى هذا الموقف ايضا بمسرحية سحب السفراء مع اميركا وبريطانيا ، وبمهملة خلق الانوار وطلعي مصابيح السيارات الخ ٠٠٠ كل ذلك لان سرعة الاحداث فرضت على اليمين اللبناني ان يساير الوضع ويسارع الى اللحاق بالتيار مستعملا المداينة حينما والتفضيل

أحيانا . ولكن اذا كان اليمين قد قام بدوره على اكمل وجه في التكيف مع الوضع المفاجي والتخلص من الازمة بالتضليل والتمثيل ، فهل قام اليسار بواجبه حقا ، وهل استغل تفضيع موقف اليمين ليقوم بعملية فضح لهذا الموقف ينفذ من خلالها الى شرح طبيعة اليمين ، ومن ثم طبيعة المعركة ؟ وهل استفاد من اضطرار اليمين الى المسيرة لكي يطرح مطالب جديدة ويقوم بخطوات فعالة ؟

ان شيئا من هذا لم يتم . حتى حيلة قطع العلاقات مع امريكا وبريطانيا لم يرا اليسار ان من واجبه فضحها . . . حتى مهزلة خنق الانوار وطلعي المصابيح السيارات والجو الحر التمثيلي الذي عاشه لبنان لم يجد اليسار ضرورة لفضحه ، ولا فائدة من شرح حقيقته . وعندما زرب اللبنانيون في بيوتهم بعد قرار منع التجول لم يجد اليسار ضرورة لفضح مغزى هذا الزرب وما ينطوى عليه من سعي لخنق صوت الجماهير الشعبية وحريتها في التعبير عن رايها .

لقد برهن اليمين اللبناني عن ذكاء وسرعة تكيف بقدر ما اظهر اليسار من عجز وجمود . فازاء عجز اليسار (في الايام الاربعة الاولى من المعركة) وجد اليمين نفسه وقد استعاد زمام المبادرة فخرج بجرأة الى مسرح الاحداث وكانت بادرة ذلك منع التجول ، ونزول قوات الامن الى الشارع وقيامها بحراسة المؤسسات الاجنبية وحمايتها . اي ان هذه القوات تحولت الى بوليس للمحافظة على مصالح اليمين ومواقفه . وكان على اليسار ان يقوم بفضح ذلك وتوضيح كل ما ينشأ عنه ويتعلق به في اذهان الجماهير ، وذلك عن طريق اتصال المنظمات اليسارية بالجماهير على نطاق واسع لعقد مهرجانات ، توزيع منشورات تنظيم مظاهرات (. . .) .

ثم اننا نتساءل عما اذا كان لدى اليسار خطة عمل او نظرة واضحة عن طبيعة الازمة وعن واجبه اثناءها ؟ فاذا كانت المقررات التي تبنتها الجبهة هي خطة العمل هذه فلماذا لم تعمل الجبهة على تنظيم قوة ضاغطة لتحقيق هذه المقررات . لقد كان من الواضح ان الجماهير قد تركت لعفويتها ولتخطيطها الساذج طوال الازمة . فالمظاهرات الضئيلة التي نزلت الى الشارع يومي الثلاثاء والاربعاء في ٧ و٦ حزيران كانت مظاهرات مرتجلة قامت بصورة عفوية وانه لم يكن لليسار دور بسيط في تعبئتها وتنظيمها . وقد ادى فقر هذه المظاهرات وضعفها وضآلتها الى جعلها هدفا لرجال الشرطة الذين افلحوا في تفريقها واستادوا في مهاجمة افرادها واطلاق النار عليهم في حين كان " اليساريون " بكل منظماتهم وشخصياتهم يستجمعون بصرهم ويصيرتهم في غياهب الصمت والجمود .

لقد كان كمال جنبلاط يتشاور في الامر مع كرامي ، وبالطبع كان الحزب التقدمي الاشتراكي بانتظار نتائج هذه المشاورات التي تمخضت عن ان الفقيه الاشتراكي لا يرى النزول الى الشارع ولا يريد اثاره البلبات في الداخل لان ذلك قد يؤدي ، على حد قوله ، الى سقوط الحكومة واخراج القصر وهذا ليس وقته الان ولا يخدم المصلحة العامة . اما الحزب الشيوعي اللبناني فقد رأى ان طبيعة " المرحلة " تستلزم ان يقبع فقهاؤه في بيوتهم تاركين الجماهير الى عفويتها ، وتاركين المصالح الاجنبية والمؤسسات " الامبريالية " في عهدة الدبابات بحمايتها والدفاع عنها .

وحركة القوميين العرب وهي التي قامت ، على ما نعلم ، في عام ١٩٤٩ على اثر قضية فلسطين والتي كان في صلب منهجها وشعاراتها وفي مبرر وجودها العمل للقضية الفلسطينية والاخذ " بالنار " بواسطة " الحديد والنار " الى اخر هذا الكلام الجبار . . . هذه الحركة نفسها ، وابان احتدام القضية الفلسطينية بالذات لم تحرك ساكنا ولم تتخذ موقفا .

بل لقد اكتفى جميع هؤلاء بان شتموا الاستعمار والرجعية وايضا " ربييتهما " اسرائيل على صفحات جرائدهم ، ونادوا بضرورة ازالة اسرائيل " وكفى الله المؤمنين القتال " . ان التقاعس الذي ظهر في موقف الحزاب اليسارية لا يمكن ان يؤول الا بعجز هذه

هذه الأحزاب عن اتخاذ موقف جدلي عملي . فالافتراء بان الجبهة كان لديها مخطط عملي
لكل شيء الذي كان ينقصها هو الاداة الفعالة لتنفيذ هذا المخطط هو افتراء باطل .
ذلك انه لو سلمنا بان الجبهة قد عجزت لسبب او لآخر عن تعبئة الجماهير (و ي بالفعل قد
عجزت وسوف نرى لماذا) فان هذه الجماهير قد تعبأت تلقائيا وبشكل هائل بعد استقالة
جمال عبد الناصر فاتحة المجال على اوسع ما يكون امام العمل اليساري لكي يقوم بدوره
لو كان لديه القليل من التصميم والدراية والخبرة السياسية والعملية . ان الجماهير الشعبية
الغفيرة التي سارت مساء الجمعة ويوم السبت في شوارع بيروت والتي كانت تعد بالالاف كانت
تشكل وسيلة ضغط فعالة لم يحسن الاستفادة منها بل تركت لعفويتها ولشعاراتها الساذجة
التي لا تنطوي على اي فهم وادراك لطبيعة المعركة وابعادها . وكانت شرانم اليساريين الحزبيين
(الذين انطلقوا بشكل افرادى وغير منظم) تذوب بين الالوف الهائجة المتدفقة ،
وكانت الهتافات الموجهة تنمى بين الهتافات العفوية السطحية التي تخرج بها حناجر
المتظاهرين .

بعد كل ذلك تنبرى جريدة الاخبار لتقول في عددها الصادر في ٢ تموز " لقد كانت
النكسة الاخيرة مدرسة كبرى للتثقيف السياسي بالنسبة للجماهير الشعبية . وقد اصبحت تدرك
بعفويتها الطبيعية (١) ان ليس من طريق لمجابهة عدوان المستعمرين وصنيعتهم اسرائيل ،
الا بالتحام اوثق بين حركة التحرر العربية وبين الاتحاد السوفياتي وبلدان المنظومة الاشتراكية"
ان رائحة العفن التي تدب في صفوف الحزب الشيوعي اللبناني تتصاعد لتزكم الانوف من هذه
الفترة بالذات . هل تعامى الشيوعيون عن الشعارات التي كان يطلقها المتظاهرون
" بعفويتهم الطبيعية " اثناء امظاهرات الجمعة والسبت ؟ هل نسوا هتافاتهم المتوقعة في
حسب الديني والقوي ؟ وهل يظن الشيوعيون ان كيفية ارتباط اسرائيل بالاستعمار ،
والخطر الذي تشكله دولة الصهاينة في فلسطين ، والمصالح التي تمثلها الصهيونية ، من
تخدم ومن تضر ، هل يظن الشيوعيون اللبنانيون ان هذه امور تدركها الجماهير بعفويتها
الطبيعية ؟ لقد كان " لينين يشبه مقدسو العفوية هو " لا بالطحلب الذي ينمو على مستنقع .
يقول في كتاب العمل " : لقد ظهر اناس يجثو على كعبهم متعبدين العفوية ويتاملون بخشوع
" دبر " البروليتاريا الروسية . ولكننا سنستطيع التخلص من هذا الطحلب " . وان له في وصف
الذين يقدمون العفوية كلام طويل لا نورد هنا . ولكن ليصرف الشيوعيون اللبنانيون ان
وجود ثلاثية حزبي منظمين بشكل سليم كما يكفي اذا ما تغلغلوا في صفوف الالاف العشرة
الذين كانوا يسرون على غير هدى ، والذين كانوا يملكون طاقة هائلة ذهبت ادراج الرياح ،
حتى يوجهوا هذه الطاقة حيث يبتغون لك مصالح المستعمرين وغير ذلك ما لا يخفى
على جهابذة العمل " اليساري " في جبهة اليسار

لقد طالما ردد الشيوعيون في لبنان ان التيار الناصري تيار شعبي هائل يجب
الاستفادة منه وان الفرص قد تحين لاستيعابه وتوجيهه وكسبه . فاذا كان هذا الكلام
صحيحا فما الذي قام به الشيوعيون لكسب الجماهير الناصرية الهائلة التي كانت نقمتها تحت
نصرفهم ولا تنتظر الا التوجه المنظم فقط ؟ ام انهم تركوا امر توجيه الجماهير الى فصاحة السفير
المصري وطلاوة لسانه ؟

ان هذا المعجز الذي ظهر عليه اليسار اياها الازمة ليس ظاهرة آنية ولا عابرة ،
فهذه ليست هي المرة الاولى التي يظهر فيها عجز اليسار .
ان هناك اسبابا موضوعية تحول بين جبهة اليسار وبين اي عمل ايجابي وهي هذه
الاسباب التي تطلي عليه هذا التصرف البليد .

واحد من هذه الاسباب يكمن في ان مواقف الاحزاب اليسارية لا تكون انعكاسا
للوضع الداخلي في لبنان وتعبيرا عن المشاكل الناجمة عن طبيعة تكوينه اقتصاديا وطبقيا ،
بقدر ما تكون هذه المواقف ، في معظمها ، تكملة لخط سياسي له بدايته ومنطلقاته خارج
الوضع اللبناني . فالمشاكل التي تطرا هنا ، تجابه بحلول لمشاكل مشابهة طرات هناك ،

او وفقا لما يري تأيه الطرف الاخر من حلول يجدها ، في نظره مناسبة او لازمة . ان الحزب الشيوعي اللبناني ، وحركة القوميين العرب (دون ذكر البعثيين والصينيين) كانوا جميعا . عوضا عن ان " يتفهموا " طبيعة المعركة ، و " يتفهموا " حقيقة مسؤلياتهم ازاءها ، انطلاقا من الوضع اللبناني وتكوينه الاقتصادي والطبقي ، كانوا يستوردون " الفهومات " من جميع الجهات . فالصادر القاهرية كانت تصرح اكثر من مرة ولاكثر من مسؤول اشتراكي لبناني زار الجمهورية العربية المتحدة ان القاهرة لا ترى انه من الواجب في هذه المرحلة لا تطبيق الاشتراكية ولا زعزعة الاوضاع وانه لا يطلب من لبنان ان يقوم باكثر مما هو قائم به . ان التصريحات من هذا الطراز اثرا شئنا في توجيه العمل اليساري اللبناني وتبعيته .

وفهم الموقف بالنسبة للشيوعيين تستمد من الاستراتيجية عامة يعبر عنها بانها الطريق السلمي الى الاشتراكية . لكن الشيوعيين عندما يفهمون ذلك على انه يوجب الوقوف من السلطة موقف المتحاشي لاى اصطدام معها بخية الحفاظ على مكاسب الحزب وعدم تخريبه لاخطار الاصطدام ، والاستفادة (كذا) من مهادنة الدولة لتقوية وتوسيع نشاط الحزب واطره يا عجائب الزمان ! وكانا المهم هو المحافظة على اطر الحزب لا المحافظة على مصالح الطبقات الكادحة وبلورة وعيها السياسي . ثم ان الشيوعيين يستنكفون عن القيام بعمل على حدة لا تفره الجبهة ، وذلك للحفاظ على سلامة الجبهة ، (ووحدة الصف) وكل ذلك لان " طبيعة المرحلة " تقتضي ذلك . ولا داعي في هذا المجال للكلام عن تحالف الشيوعيين اللبنانيون مع جنبلاط وحزبه ، وعن المخاطر التي يؤذي اليها كل يوم هذا التحالف فلفقها الحزب الشيوعي زيغ ويدع عجيبة فريدة في تخريج ذلك ليس اقسطها ان طبيعة حركة التحرر الوطني في هذه المرحلة تقتضي التحالف مع البورجوازية في زعمهم . وذلك بقصد السعي الى فصل البورجوازية عن الاستعمار (كذا) . وبعثا تحاول ان " تفهم " الشيوعيين عندنا بان خطتهم ستؤول في النهاية ، (وقد بدأت الدلائل تظهر) لا الى فصل البورجوازية عن الاستعمار بل لفصلهم هم انفسهم عن الطبقة التي يدعون تمثيل مصالحها والى طمس مصالح هذه الطبقة ووعيها السياسي . ان الخاء المؤتمر الشعبي الذي كان من المنوى عقده في صيدا ١٠٠٠م يؤد الى فصل البورجوازية عن الاستعمار بل هو مساومة ادت الى اضعاف وعي الطبقة العاملة ، ان تأييد الشهابية لم يؤد الى فصلها عن الاستعمار بل الى طمس المصالح الطبقة ، ان المساهمة في التهنئة بعيد الجيش (الخ الخ الخ) . ولكن لماذا نحاول ان نفهم الشيوعيين عندنا بكل ذلك ما دامت " فهوماتهم " لم تشر عليهم بشي من هذا القبيل ؟ على اننا عندما نفسر عجز اليسار بارتباطاته الخارجية فان ذلك يعني فقط افترا

ارتباط ميكانيكي بين اليسار في الداخل ومواقف الجهات التي يرتبط بها كل من احزاب (او على الاقل معظم هذه الاحزاب) في الخارج . بل ان ما يطلي على الاحزاب اليسارية في لبنان موقفها في الاساس (ومن هنا يمكن ان يصار الى فهم حقيقة ارتباطها خارجيا) هو في الاصل عجزها داخليا التمثيل في قصورها السياسي وعجزها التنظيمي وجودها على صعيد التحركات الشعبية . ان حزبا لا يعتمد على تنظيمات شعبية فعالة وقواعد واعية ترى بوضوح اين هي مصالحها ومسؤولياتها لا يستطيع بالطبع ان يتحرك بسرعة ودقة ابان الازمات .

ان العمل اليساري يقتضي قدرة على التحرك ضمن الاوساط الشعبية وقدرة على اخذ زمام المبادرة في كل حركة جماهيرية (التي غالبا ما تنطلق من موقف عفوي) لقيادتها في الطريق السليم ، كما يقتضي وعيا لدى الافراد الحزبيين متملا واضحا يمكنهم والمبادرة الذاتية الصحيحة وهذا لا يمكن ان يتم الا من خلال تربية حزبية طويلة قوامها الاتصال المباشر اليومي بالاحداث الداخلية والعالمية وتحليلها تحليلا سياسيا يساعد على تكوين النظرة الصائبة للامور .

هذه الامور كلها هي ما يفتقر اليه اليسار بالدرجة الاولى وهي تفسر الى حد بعيد جموده النظرى والعملية كلما احتاج الوضع الى التحرك في الاوساط الشعبية التي بدونها لا يمكن القيام بعمل فعال على مستوى واسع . ان الازمة الطلابية الاخيرة دليل على ذلك حيث تبينت الطوباوية النظرية التي عولجت بها الازمة .

انصف الى ذلك اعتبار العمل السياسي عملاً سهلاً والنظر اليه على انه هواية تمارس في اوقات الفراغ. هذه الهواية السياسية تظهر اكثر ما تظهر في الاحوال الطبيعية بطول النشاطات العامة (دون ان يرافقتها توضيح لابعادها الطبقية والسياسية؛ مشكلة الطلاب بدأت منذ اوائل العلم الدراسي بملء الحيطان بشعارات جوفاء لم يكن لها انعكاس صحيح في اذهان الطلاب) ويتخلى المهرجانات بالمناشيات لالقاء الخطب والمطالب دون اتخاذ اي عمل لتنفيذها او على الاقل للتحريج منها بقوى طبقي: الذين خسروا مؤتمر بتخلية دهبوا هم القسم ليخسروا مؤتمر المصفا) والكثافة في الحرائد عند مواضع انعقد ما تكون عن حياة الطبقة الكادحة وابعد ما تكون عن الطرح السياسي لمشاكلهم (اصدق دليل على ذلك جريدتي الاخبار والنداء اللتين تحولتا من مجرد عن مصالح الطبقة العاملة ومسيس لها الى ناطق بلسان الاتحاد السوفياتي ومداح لمواقفه وتقدمه). ويمتد ذلك الى العمل في النقابات والمنظمات الشعبية والطارية ليتخذ سيماء المحاكمة بتجسين الرشح الاقتصادي دون ان يربط ذلك بشروح الانتماءات الطبقية لهذه الفئة او تلك ولا بضرورة نقل المطالب الاقتصادية الى مطالب سياسية.

كل ذلك يجعل من اليسار اللبناني يساراً مراهقاً ذا هواية مهملية هي السياسة. ان الوضع السياسي في لبنان اذا قورن بالوضع السياسية في المندقة يظهر بوضوح على كل تقديره وصعوبة العمل اليساري فيه. من هنا ان المهمات المطروحة على اليساريين اللبنانيين تستلزم احترافاً سياسياً وجدة وصلابة اكثر من المهمات المطروحة على يساري اي بلد عربي آخر. من هنا ضرورة تحول اليساري اللبناني من هاو (يقتصر عمله على حضور ندوة او مهرجان او في احسن الاحوال حضور حلقة حزبية) الى محترف يقوم بكل ما تطيه ضرورات العمل اليساري الصحيح من اعباء (هذا في حال الاتفاق على ان هذه الضرورات تتعدى النشاط اللفظي والخطابي).

ان اليسار العربي عامة واليسار اللبناني خاصة وهذا هو الدرس الاول الذي يجب ان يؤخذ من الحرب الفلسطينية الاخيرة، مدعو للتخلص من روح الهواية السياسية هذه. ان جيالا من الثوار في العراق تمخ عن رجلين: محبوه واحقق. ان اجيالا من الثوار في سوريا لم تؤخر بعد حكماً ذي رصيد شعبي. وبعد خمسة عشر عاماً من الثورة المصرية تصطدم هذه الثورة بما اوصله الي ما هي عليه الان.

وسوف يظل لبنان اجيالا واجيالا عديدة مفسحاً تحت وطأ النهب والاستغلال التي يعيشها اليوم ويتحكم في مقدراته مجتمع الاربعة بالمائة. والى ان يتخلص اليسار من روح الهواية السياسية والى ان يتحسس جميع مسؤولياته بشكل اكثر جدية واكثر صلابة ووضوحاً حتى ذلك الوقت سوف يظل الصهاينة يقتحمون حدودنا ويسخرون منا امام شحوب الارز.

x-x-x-x-x-x-x-x-x-x-x-x-x-x-x-x

الجانب اللبناني

كان لا بد للبنان ان يواجه الاحداث التي عصفت بالمنطقة العربية من خلال اوضاعه الداخلية، تركيبة الاقتصاد، حياته السياسية وميزان القوى الاجتماعية. فلا يعقل ان تحدث معجزة تخلق لادود فعل جديدة، غير منتظرة، تنزع عن لبنان سماته العادية لتسوى بلداً مختلفاً. بل ان الاحداث، اذا كانت قد عدلت الصورة اللبنانية، فان التعديل تم تضخيماً للسمات المألوفة، وامعاناً في نفور نتوءاتها. لذلك برزت ردود فعل حادة، قد لا تغير شيئاً اساسياً في قرارة المواقف التي تشكل نسيج السياسة اللبنانية اليومية، ولكنها تبسط هذه المواقف، او، اذا جاز التعبير، تختزلها. هذا التبسيط، او هذا الاختزال، برز في الايام التي سبقت بدء الاحداث، مع اقفال خليج العقبة في وجه السفن المتجهة

الى ايلات او الآيبه منها . فقد كانت السفارة الاميركية قد طلبت السماح للاسطول السادس بالاريساء في مينا بيروت في ١٦ ايار ١٩٦٧ . ووافق الطلب بالسماح بتصريحات اميركية تؤكد ان تحركات الاسطول السادس ما هي الا لحماية اسرائيل . بالطبع ، لم يكن يمكن الفئات الوطنية اللبنانية (التي ما زالت تتمتع بحد ادنى من التمسك باستقلال ولو شكلي) السكوت عن "زيارة" لا يخشى المسؤولون الاميركيون من ادخالها في اطار عمل يرمي الى حماية اسرائيل . ولكن ذلك لم يخط من عزيمة اليمين في دفاعه عن "الزيارة" ، فقد حمل علمها ، جاعلا منها الدليل الاكيد على "الحيد" اللبناني ، على حسب الضيافة اللبنانية . دون العودة الى جذور الموقف ، تكفي الاشارة الى ان الجدل دار في الفترة التي تلت مباشرة تصريحات البطريرك المموشي وبيان بيارا لجميل حول "انحياز" السلطة اللبنانية للمعسكر العربي الذي يمثل الشيوعية في نظر اليمين . مع ١٥ ايار ، اغلاق المضيق وسحب البوليس الدولي وردود الفعل الأوروبية ، لم يعد الدفاع عن استقبال الاسطول السادس ممكنا . ولكن الصفحة لم تطو ، اي ان ما املى الموقف كله لم يغب . وكيف لا ان يغيب وهو بالفعل ، من عناصر الوضع اللبناني الاساسية ، فقد دفع اغلاق مضيق العقبة المنطقة كلها في وضع لا يستطيع لبنان ان يتخلص منه مهما كانت سياسته السابقة . فعلى اثر حلول القوات المصرية مع البوليس الدولي ، في مواجهة القوات الاسرائيلية ، بدأت الدول الأوروبية ، ولا سيما الولايات المتحدة الاميركية ، اجلاء رعاياها عن كل بلدان المنطقة بدون استثناء . انهم بالطبع ، بما فيها لبنان ، مع اجلاء الرعايا ، توقفت الاعمال الاجنبية ، غضب السباح والمصطافون والعملة الصعبة هبط الاستهلاك . . . كلها حلقات في سلسلة كان واضحا انها تلتف حول عنق الاقتصاد اللبناني لتعمل فيه افقارا ، وفي تناقضاته تازيما . اي ان توتر المنطقة حشر لبنان في حلقة من ردود الفعل لا يملك فيها الا الانصاع ، لسبب بسيط ان ارتباطاته وما يدعى بصداقاته الغربية لا تستطيع ان تضرب عرض حائط بموقعه الجغرافي ، المحاذي لاسرائيل ، وبالاواصر التي تشده الى اقطار المنطقة والتي تنعكس في تحركات فئات واسعة من شعبه . بذلك تم نوع من العزل بين لبنان والعدى الحيوى الذى تتنفس فيه مصالحه ، عزل لا تستطيع الفئات الحاكمة الا الشعور بالاختناق في حال استمراره . ان ان الامور واضح تمام الوضع ، لا يمكن النظر الى ارتباطات لبنان الغربية على انها ايدولوجية ، او انها وليدة صداقة مقاصلة مع الاستعمار . فالارتباط الغربي ، بكل بساطة ، هم ، او اوضحى ، حزاما يقي توازن الاقتصاد اللبناني كله . فقد بلغ استيراد لبنان عام ١٩٦٦ ، ما يزيد على ٢٢٠٠ مليون ليرة لبنانية غيبها حوالي ٨٥ ٪ ذات مصدر اميركي واوروبي مشترك (السوق المشتركة) وانكيزي . هذا يعني بوضوح ان التبادل التجارى يجعل من لبنان ملحقا في منطقة التبادل الغربي ، كونتوارا كولونياليا كما في عهد الفتوحات السعيدة ! ان كان استيراد السلع يشكل ٦٥ ٪ من الدخل القوي اللبناني ، فان حصة التجارة الخارجية في الدخل لا تقل عن ٢٣ ٪ . هذه الارقام المصروفة التي تتعلق بقطاع مركزى في الاقتصاد اللبناني ، ان ان المجال الاول لعملياته التسليف (وبالتالي للنشاط المصرفي) هو التجارة الخارجية التي تمول بدورها القسم الاكبر من التجارة الداخلية . تؤكد هيمنة الحلف التجارى - المصرفي على الحياة الاقتصادية في لبنان . هذه الهيمنة لا تتمثل فقط في النسب المرتفعة في الدخل ، وانما بشكل اساسي في الدور المحرك الذى يلعبه القطاع في العمالة ومستويات الدخل . وبالتالي في الانفاق والاستهلاك . وتتحرك القطاع لا يمكن ان يؤدى ، كما ادى فعلا ، الا الى ضمور القطاعات الملحقه والتابعة ، وان بدرجات متفاوتة . لذلك فان هم القوى السياسية الاول ، مهما كانت الاتجاهات التي تتمثل في السلطة ولا سيما في المجلس النيابي ، هو الحفاظ على الشروط الحيوية لهيمنة القطاع المصرفي التجارى ، وهي شروط لا تنحصر في الدفاع عن استقلال القطاع تجاه "دخل" السلطة وفي تدابير الاقتصاد الداخلية (من اجور واستثمارات وضرائب) ، بل تتعداه الى شروط سياسية عامة اهمها الحفاظ على علاقات معينة مع الدول الغربية تقوم على

استخدام لبنان مركزا سياسيا امينا . ان العودة الى هذه النقطة ليست من قبيل تكرار امر اصبح بديهيا (على الاقل لفظيا وصحفيا) في اوساط واسعة من اليسار، وانما للاستدلال بخيط متين في التخييط الظاهري للحياة السياسية اللبنانية .

في الايام القليلة الاولى التي تلت ١٥ ايار كان اليمين اللبناني ، ومعه السلطة ، في وضع حرج . فالدخول في صراع جزئي مع الاستعمار ، حول نقطة معينة حادة دفع الدول الاستعمارية الى اتخاذ موقف حاد ، مكشوف في صلابته ، يصعب على اليمين والسلطة اللبنانيين مسايرته علنا ، لان في ذلك (في العلنية) خرقا فاضحا لما يسمى تقليديا بالوجه العربي للسياسة اللبنانية . ولكن الوجه العربي يعني ، من وجهة نظر السياسة اللبنانية ، البقاء في منطقة الضباب التي تتمتع عن لقاء السياسات العربية الرسمية ، والتي تحشر جنبا الى جنب كل التناقضات العربية . والميزة الرئيسية لهذا الموقف هي انه لا يملئ تدابير عملية

محددة تناقض المصالح المسيطرة في لبنان (والسبب واضح : هوان هذه المصالح ليست وحيدة في المجال العربي ، وتستطيع دائما التذرع بعدم وجود اجماع) . ولكن ما ان ينعكس موقف عربي محدد في مطالبة جماهيرية ، مهما كانت هذه المطالبة كلامية ومحصورة ، ينتفض اليمين غضبا وخوفا مطالبا باعادة الميزان الى وضعه السابق . مثال على ذلك : كان التجمع الطرابلسي في الجامع قد اكتفى بالقاء بعض الخطب والتهنئات تحت رقابة رجال الامن . واذا برئيس حزب الكتائب ينبري ناعنا " المتظاهرين " بمحترفي اضطرابات ، طالبا من الدولة ان تكون حازمة في ردها على " الخوفا " كما تقول ارستقراطية المتن . تجاه وضع ينذر الشارع فيه ، ليس بالقيام بثورة ولا بتهديد مصالح الحاكمين ولكن بالخروج عن غيبيته العادية (سوف نرى ما يعنيه ذلك) ، يلتم اليمين حول الفئة الاكثر تبعية للاستعمار والتي تمثل مصالحه مباشرة ، بلا موارد " وطنية " ، وحتى دون التستر بالدفاع عن مصالح لبنانية . فالجبهة الثلاثية التي تعمل على الدفاع عن مصالح القطاع المصرفي - التجاري . تتبنى مواقف اكثر اقطابها يمينية ، كميل شمعون . هذا الاستقطاب يؤدي بالفعل الى محو المواقف اليمينية المعتدلة او حتى الوسطية ، خارج الجبهة الثلاثية ، والى فرض جو سياسي كامل لا يقبل فيه اليمين طرفا في الحوار الا تكتلا طائفا مماثلا ، لا يمثل اليسار في وجه من وجوهه ، وانما مصالح متشابهة تمتص المطالبة اليسارية عن طريق طرحها خارج اللعبة وقواعد ها . لذلك ، خلال الاحداث ، برز التجمع البيروتي كند ضعيف ، هزيل ، لثلاثي يملك وسائل دعائية وصحفية ضخمة . ولكن الند لم يكن كافيا لجعل اللعبة ممكنة فبرز طرف آخر هو " الهيئة الوطنية " التي اجتمع اقطابها مع اقطاب الكتائب في ٢٦ ايار للبحث في افضل الطرق المؤدية الى توجيه مشاعر الجماهير وحماستها توجيهها " سليما " لذلك وللاسباب المذكورة في مكان آخر من هذا الكراس) بقي اليسار هاشيا ، خارج المبادرات السياسية التي طبعتم ايام الازمة .

ولكن تظاهرة طرابلس لم تكن الا حدثا طفيفا . في ٢٦ ايار تظاهر طلاب الجامعة اللبنانية في الاونسكو مطالبين بالتجنيد ، وهاتفين هاتفات عربية . في ٢٧ ايار القيت متفجرات على السفارة الاميركية وفي محلة الروشة . في ٥ و ٦ حزيران نسفت مستودعات للمحروقات تملكها شركة شل . في ١٠ حزيران تحرق المتظاهرون بعداد من السيارات والمحلات يضاف الى ذلك حدث ديبلوماسي هام (نسبيا) هو طلب سحب سفيري انكلترا والولايات المتحدة في ٧ حزيران . بينما كان ريمون اده قد طرح في ٢٢ ايار ضرورة وقف لبنان الى جانب الاقطار العربية في وجه العدو المشترك ، واعاد الكرة في تصريح ثان بتاريخ ٢٤ ايار يتساءل فيه لماذا لا ييم العرب وجههم وجمعهم شعار الاتحاد السوفياتي الذي كان دائما صديقا وفيما بينما ضفت الولايات المتحدة امام الاغراء الاسرائيلي ، اعرب اده اياه ، هذه المرة بالاشتراك مع الجميل ، عن قلقه من نتائج مقاطعة الولايات المتحدة وانكلترا . في ١٦ حزيران اصبح النقاش الهادي والاقناع السلاح اللاكيد في معركة الحرب ضد اسرائيل ، وذلك لكسب تاييد حلفاء اسرائيل لجانب الحرب . لا شك ان الايام الاولى اخذت اليمين على حين غرة ، ولكن الخط التقليدي عاد الى السطح ليصل ما انقطع في ايام التردد والخوف التي كانت تشير الى

احتمال نصر عربي • ولم يكن اتصال الخط اليميني التقليدي خجولا، بل كان حادا مقداما، تمثل في اقتراح بيار الجميل، مع موافقة شريكه، وفسان تويني، بتدويل لبنان • ولكن اقتراح التدويل لم يكن الا حلقة في سلسلة حجج ومواقف وتبريرات تكشف عن مخزن الايديولوجية اليمينية، واضحة عددا من الشعارات المعلوكة موضعها الصحيح من هذه الايديولوجية • ما ان بدرت من فئات من الجماهير امكانات التحرك حتى انصب سيل دعائي واسع من بيار الجميل الى المفتي حسن خالد، مروراً بقرار الصخافة بممارسة رقابة ذاتية، على موضوع المواضع، الوحدة الوطنية • بذلك، ومرة اخرى، بان المضمون الفعلي للسلاح الذي يشهرفي وجه كل مبادرة تحاول الجماهير البورجوازية الصغيرة ان تنتزعها من النظام كله • خلال الاحداث كان القيمون على الوحدة الوطنية يذكرون بها كلما حاول الطلاب المطالبة بالتجنيد، كلما ذكر افراد بأن كوكاكولا وشل وفورد من الشركات التي تتعاون مع اسرائيل ونحن في حالة حرب مع اسرائيل، كلما وضعت العلاقات الاقتصادية التي تربط لبنان بالدول التي تحمي العدوان الاسرائيلي موضع النقد • • • لم يعد ثمة شك حول الدور الذي يلعبه هذا الشعار، الوحدة الوطنية تعني بالنسبة لليمين، المحافظة على سيطرته على حياة الاقتصادية والسياسية في لبنان • هذا يعني بالتالي ان كل تخيير قد يطرأ على توازن الاقتصاد اللبناني نتيجة تخيير في علاقاته مع الغرب، هو من وجهة نظر اليمين، اخلال بالوحدة الوطنية التي لا تنفصم عن سيطرته • واليمين يعلم تمام العلم ان من شروط سيطرته الاقتصادية رقابة صارمة على الحياة السياسية وسهر على الا يخل بقواعد اللعبة التي تقوم على زواج الطائفية مع القطاع السياسي • هذه النظرة هي التي ترسم الحدود التي لا ينفك اليمين حاكما خارج الحكم يذكر بها وكأنها حدود طبيعية لا تنفصل عن لبنان، هبطت عليه من السماء، التعاون الحربي (ضمن حدود)، الحياه العالمي (ضمن حدود)، توجيه الدولة للاقتصاد (ضمن حدود) • • • ولكن من يرسم هذه الحدود؟ واضح ان هذه الحدود ترسمها مصلحة المصارف والتجار، لان التذكير بها لا يتم الا في المواقف والاوراع التي تهدد هذه المصلحة •

اذا كانت هناك شروط سياسية للسيطرة الاقتصادية • فإن الدولة التي تمثل ما يدعى بالمصلحة العامة، هي القيمة على المحافظة على هذه الشروط السياسية • وخلال الاحداث الاخيرة قامت الدولة بواجبها على اكمل وجه •

مع سحب البوليس الدولي وقف الجيشان المصري والاسرائيلي وجهها لوجه • لذلك وجد لبنان نفسه عسكريا ملزما بالمشاركة بمعركة لم تخفي التصريحات الرسمية، في ١٦ أيار، رغبتها بتجنبها عن طريق تدخل هيئة الامم في الخلاف، ونقله بكامله من صعيد الرافد الى الصعيد الديبلوماسي • ورغم الصمت الذي يحيط غالبا

بالوضع العسكري فان القرى الامامية على اطلاق كفة على هذا الوضع ، يمكنهم من تقدير اولي ، ولكنه فعلي ، لامكانات الردع التي تملكها القوى اللبنانية . لذلك كان سكان هذه القرى اول من رفع الصوت بالمطالبة بالتسليح والتدريب بمساهمة في الوقوف بوجه اعتداء اكيد . وكعدى لهذه المطالبة تقدم نواب كتلة الجنوب في ١٦ ايار ، بطلب اول يقترح تشكيل مقاومة شعبية تدعم الجيش في وجه العدوان . فكان رد السلطات ان اعلنت عن اجتماع عسكري بين الرئيسين حلو وكرامي وبين قائدي الجيش والاركان ورئيس الشعبة الثانية ، في ١٧ ايار . واتهمت السلطات ذلك ببيان اذاعته الوكالة الوطنية للانباء في ١٢ ايار يعلن عن وصول قوات الى الجبهة التي حصنت . وزيادة في التطمين اعلن عن استمرار الاتصال مع سوريا ووضع خطة موحدة لتنسيق العمليات الجوية . في ٢٢ ايار ، استدعت قيادة الجيش ما دعي بالاحتياط كما زار اللواء بستاني الجبهة . ولكن هذه الاخبار التي قرضت في الصفحة الاولى ، مع صور ضاحكة كبرها ان لا يرد ، لم تقنع سكان الجنوب . فتقدم في ٢٣ ايار نواب كتلة الجنوب بطلب اجراءات تؤمن اخلاء القرى الامامية من الشيوخ والاطفال ، وباستدعاء ضباط الاحتياط (الذين يفترض انهم استدعوا) لتدريب مقاومة شعبية تقوم بمساندة الجيش وتحت امرته . ولكن كان واضحا ان المظاهرات الطلابية وطلبات النواب سوف تبقى امنيات لا تخذل "الواقع" الصلب الذي حملت السلطة مهمة حماسته .

لماذا رفضت السلطة التجنيد الشعبي ؟ التجنيد الشعبي يعني ان مهمة الدفاع عن الحدود ليست مركلة الى فريق متخصص وانما هي شان المواطنين . ولكن تفكير من هذا النوع غير مأمون العاقبة . واذا انتبه الى ان قضايا توجيه الانتاج ، والعلاقات السياسية والتعليم ، وتنمية المناطق . . . ليست شان الادارة وموظفيها وانما بالدرجة الاولى شان اصحاب العلاقة ؟ هذا يعني ، بالطبع ، نهاية الافندية الذين يرحون انتخاباتهم باموال التجار ومساهمي المصارف الذين ينضمون الى لوائحهم . يسلمنا ذلك الى جانب دمام من جوانب الحكم في لبنان (وليس فقط في لبنان) هو الفصل بين موقف المواطنين ورغباتهم وبين الاداة السياسية العامة التي تحتكرها الدولة لنستعملها في سبيل الحفاظ على التوازن بين الفئات المسيطرة والفئات الاخرى ، توازن يسمى "شرعية" . ولان شرعية كهذه تتطلب استمرار التوازن لصالح الفئات المسيطرة ، ان اقتصاديا او سياسيا وعسكريا ، فانه لم يكن ممكنا ، من وجهة نظر الدولة ، ان يعطى السلاح لفئات غير مضمونة الولاء للسلطة وللوضع . اما المعركة فانها ، في تصور السلطة ومن تمثلهم ، كانت اكثر خطرا في شوارع المدن اللبنانية منها على حدود تعرف الدولة كيف تحولها من ساحة صدام الى ساحة هدنة ؛ بالترقب ، بالتخاضي وبالسكوت حتى عن اقتطاع بضع قرى متناثرة يجني غلالها ويحصر زيتونها الاسرائيليون . . .

لان المعركة الداخلية كانت المعركة الاساسية بالنسبة لليمين ولدولته ، حرصت الدولة كل الحرص على ان تضبط زمام الامور بيد عسكرية تسمح بتجنب ورمات ومزالق وضع كانت تمنى لو لم يفرض عليها . لذلك ، ومنذ اليوم التالي للعدوان الاسرائيلي ، في ٦ حزيران ، وبواسطة السلطات الاستثنائية التي كانت قد حصلت عليها في ٢٥ ايار ، اغلقت السلطة المصارف لتحجيمها من انهيار كان لاحقا بها لا محالة . ولم تتدفق بالافلاك المؤقت بل حددت قيمة المسحوبات بالف ليرة وذلك حتى ١٩ حزيران ، تاريخ رفع القيمة الى ١٥ الاف ليرة . وكان منع التجول والتجمعات جوابا على عطيات النصف التي تهدد علاقات الشركات القائمة في لبنان بوكلائها اللبنانيين ، وهي علاقات تحرض عليها السلطة حرصها على نور عينيهما . واخيرا جاءت الرقابة لجاما يكبح جماح الاعلام "لا الراي" لان الاراء كانت منذ فترة ، قد فرضت على نفسها "الحدود" التي ترتضيها السلطة . هذه الصورة ينبغي النظر اليها بعينين واسميتين لان قرنا منها قد يحجب رؤية واضحة في حرب وقف فيها الاستثمار الخريبي ، وعلى راسه الولايات المتحدة ، موقف الدعم والمساندة لدولة عميلة معتدية تسعى لتصفية التيارات الشعبية (ولو كانت خجولة) وشلها ، في حرب كهذه ، يقتصر عمل السلطات اللبنانية على اتخاذ التدابير

التي تنقل حماية مصالح دول هذا الاستثمار وشمل أي تحرك شعبي قد يشارك بشكل من الأشكال في المعركة، في توضيح وشرح مراميها وأدوارها أو في اتخاذ موقف محدد من بعض جوانبها . هل يمكن لحكم من هذا الطراز، تحكمه مصالح كتلك التي توجهه ، من خوض معركة مع أي شكل من أشكال الاستثمار، وأولها الاستثمار الاقتصادي ؟ إذا كانت السلطة قد حرصت على حماية المصالح المصرفية والتجارية بالدرجة الأولى فإن وقفها الصلب إلى جانب هذه المصالح ، دون أي تنازل لمطالب تحلها الفئات واسعة من الجماهير (عدا طلب اقطار عربية مجاورة لا يمكن تناسي اتجاهاتها) يشكل خطرا على هذه المصالح نفسها دفاعا عن هذه المصالح وجدت الدولة نفسها مضطرة للجوء إلى مرونة نسبية : على اثر قطع العلاقات العربية مع الولايات المتحدة، استبقت حكومة كرامي ردود الفعل الممكنة عن طريق طلب سحب سفيري انكلترا والولايات المتحدة . كان بينا ان سحب السفيرين ، مع حماية السفارتين حماية مشددة ضد هجمات المتظاهرين بالرصاص لا يعدو ان يكون قطع طريق على مطالب اكثر "طرفا" فقطع العلاقات الدبلوماسية . هذا الاجراء الذي اعلنه رئيس الوزراء قبل اجتماع مجلس الوزراء بساعات لم ينكر حتى اليمين المتطرفة، ساعتذاك ، جدواه ومهارته ولم يكن وقف ضخ البترول الا تمشيا مفروضا من قبل العراق والسعودية مع قرار الدولتين . بذلك استطاعت الدولة اللبنانية ان تمنع الخسائر الفادحة وان تقف في وجه محاسبة سياسية عجز اليسار عن ان يكون اذاتها ومحركها .

هذه السلطة التي وضعت كل امكاناتها لتمنع التحرك الجماهيري (النسبي) من تهديد مصالح الفئات المترتبة في الحكم والاستغلال، ما هي الخطوات التي قامت بها لتحد من من آثار الاحداث السلبية على الطبقة العاملة والفلاحين وفئات واسعة من المواطنين ؟ بينما كانت اسعار المواد الغذائية الاساسية قد ارتفعت بنسبة ٣٠ او ٤٠ بالمئة قبل ٢٥ ايار بايام ما منذ بدء الازمة، انتظرت الدولة ٢٧ ايار لتصدر قرارات قمع الاحتكار التي لم يمكن العمل بها قبل يومين من صدورنا وذلك بعد ان كان قد جنى محتكرو الرز والسكر ارباحا فاحشة بعد انتهاء المحار ، بدأت تظهر آثار اوسع المنطقة على اقتصادنا الهش بوضوح صارخ احدى علاماته مشكلة التسريح . لان الاسواق العربية اقلت مؤقتا ولانها انقصت من استيرادها من لبنان ولان منطقة غزة أصبحت في قبضة الاحتلال الاسرائيلي ولان السائحين العرب والاجانب النوا تذاكر سفرهم الى لبنان . وجدت الصناعة اللبنانية نفسها، وهي ما هي عليه من الضمور والهزال ، تواجه ازمة فائ انتاج . كما وجد اصحاب الفنادق والعلاهي انفسهم يواجهون كسادا قاسيا . في وضع كهذا من المبالغة، الحديث عن خطورته ان ان بؤادر الازمة ما زالت بسيطة ، نسي الحديث عن صناعة الاقتصاد وصلابته ، وكانت ردود الفعل الاولى الشروع بحل يكشف غبا البورجوازية اللبنانية وضعف فعالية التنظيم النقابي . كان التسريح أي ابقاء عبة ازمة السوق على العامل وحده ، هو الحل . فغاضت الدولة ، لا لانها ضد التسريح ، وانما لان التسريح يعني كذلك خطر مواجهة مطالبية عمالية لا تكفي بطلب العمل وانما بضمانه في المستقبل . وتوالت اجراءات الدولة الكريمة : تشجيع مفاوضات بين العمال واصحاب المعامل للاتفاق على تخفيض الاجور حتى نسبة ٥٠ % (عمال الملاي والفنادق خلال اشهر الصيف الثلاثة) ، تخاضي الدولة عن خرق الحد الأدنى للاجور، تسهيلات في التسليف يستفيد منها كبار التجار والصناعيين (وعلى راسهم مسلم بنك التسليف الكبير بطرس الخوري)، منع تصدير تعطي بموجبها الصناعيون مكافآت لانهم وجدوا اسواقا لبيع منتجاتهم . وعن طريق الاقتصاد والمشاكل الاقتصادية عادت الدولة ، وحولها كبار المستوردين واصحاب المصارف والعملاء السياسيين ، للتشديد على ضرورة الاعتدال وعدم "المبالغة" في المقاطعة وجند وكلاء اصحاب المصالح ثقافتهم واطلاعهم للتقاط خبر او خبرين عن شحن بضائع في قبرص، بدل من بيروت ، ويرتفع الهويل على مستقبل الازدحام اللبناني واستقرار الاوضاع الداخلية . ويتذكرا لبيان الثلاثي في ١٠ تموز فلسطيني ليشير ان المال هو عصب الحرب .

اغتنوا • اغتنوا •

ماذا تعني هذه الاحداث؟

اولا: ان السيطرة التجارية-المصرفية التي تهيمن على الاقتصاد اللبناني لا تكتفي بالسيطرة في هذا المجال، وانما تبني عليه وعلى سيطرتها فيه هيمنتها على سائر المجالات واولها السياسي والاجتماعي • واذ كانت الظروف "العادية" تلقي شكا حول هذه الهيمنة فان الازمة اقلت جانبا بهذا الشك لتؤكد ان الرأسمالية لا تترك ولو حيزا بسيطا لحمل سياسي يناقش ولو جزئيا مصالحها وارتباطاتها •

ثانيا: استطاعت هذه الفئة خلال ربع القرن الاخير من بروزها واستلامها مقاليد السلطة الاقتصادية والسياسية (ان مباشرة او بواسطة دولها) من تكبيل الحياة اللبنانية بارتباطات استعمارية جديدة تشل اى تحرك جاد لمقاومة هذه الارتباطات • على هذا الواقع بنت هذه الفئة ايد يولوجية تجد في الواقع الذي جهدت الرأسمالية اللبنانية في بنائه براهين بيئة • بذلك اصبحت التبعية الاقتصادية شرطا من شروط استمرار لبنان (لبنان الحالي بالطبع) في البقاء • هذا الواقع يدفع فئات كانت تشكل حقلا ايجابيا للعمل السياسي اليساري وحتى الوطني للانصياع وراء الارتباط والتبعية على انهما ملازمان لوضع لبنان، او لموقف مترقب ينتظر ان يهبط الحل من مكان آخر، من مصر او من سوريا، موقف لا يختلف في نتائجه السياسية الفعلية عن الموقف التابع •

ثالثا: نتيجة الهيمنة المزدوجة لهذه الفئة، ونتيجة ايد يولوجية تجعل من واقع معين له اسباب هي عرصة للزوال (دون شك) جوهر ابدى لا يحول ولا يزول، اصبحت الوحدة الوطنية رهنا باستمرار هذه الفئة في الحكم والاستغلال • وهي، في الازمات، المطج الامين الذي تمحي امامه الخلافات البسيطة والمواقف الوسطية • كما تمحي الفروقات السياسية التي تمر عن مصالح طبقية عميقة لتطفو على السطح البنية التقليدية، الطائفية والاقطاعية السياسية، والتي تترجم في لغتها الضيقة، والبدائية كل مطلب ينحوتجاه طرح سليم للامور •

رابعا: ان الجهاز الاداري، وجهاز القمع، لا يملكان راحلة هذه الا الانصياع لمصالح هذه الفئة • هذا يعني ان وظيفة هذا الجهاز هي التي تملي على الذين يوجدون في السلطة سلوكهم ومواقفهم • وازاء هذه الوظيفة لا يجدى في قليل او كثير، ان يكون في السلطة مثل البرجوازية الصانعة او مثل للبرجوازية التجارية، حكومة "مليونارية" او حكومة تكنوقراطيين وموظفين متقاعدين • • • ان مجرد ادلائهم كراسيهم يعني اتجاها عاما ترسمه وتفرضه مصالح الفئة التي تهيمن على مختلف مجالات النشاط في البلد •

خامسا: ان مهمة العمل اليساري في لبنان هي تخير قواعد اللعبة السياسية لأن التواطؤ مع القواعد الحالية لا يمكن ان يؤدى الا الى "الترجمة" التي اشرنا اليها اعلاه • هذا لا يعني بالطبع رفض الاشكال القانونية للعمل، والتحرير والتنظيم، وانما يعني ان بناء خط سياسي على هذا التواطؤ، كما يفعل اليسار منذ سنوات، تؤدى الى السكوت •

تماما كما حدث • ولكن الرفض القاطع، التحالي، الذي هو رفض لفظي، ليس عملا • يبقى الفضح الطويل النفس الذي ينطلق من امكانات محددة لبيني القوة التي تستطيع فرض قواعد علاقات جديدة تسمح للفئات المستغلة (بفتح اللام) بأن تكون العنصر الحاسم •

نريد ها هنا ان نعرض ، موجزين ، صورة الموقف العربي خلال الازمة الراهنة ، متاولين ، خاصة ، احداث الشهر الطويل الذي بدا مع التهديد الاسرائيلي بضرب الحكم في سوريا وانتهى بوقف اطلاق النار ، على الجبهات الثلاث ، بعد النكسة . واذا كان هذا ، في الاساس ، هو صياغة الدروس التي جلت عناصرها النكسة نفسها ، فانه لا بد لنا لاجل ذلك من الالمام ، احيانا كثيرة ، بنواح من المرحلة التاريخية التي حددت اiban المصوكة ، معالم الوقفة العربية في وجه اسرائيل . هذا ويقضي تيسير البحث ان نجعله في اقسام ثلاثة .

اولا - العلاقات بين الدول العربية والموقف العربي - الاسرائيلي قبل المصوكة . كان الراهن منذ شهور عديدة ان قلب الحكم البعثي في سوريا بات الحلقة الاولى من هموم الامبريالية الاميركية في المشرق العربي . فان مجيء هذا الحكم بعد ازاحة الجناح اليميني من حزب البعث في الثالث والعشرين من شباط ١٩٦٦ ، حتم عليه التشدد في مواجهة الصالح الرجعية والسيطرة الاجنبية بعد ان ادى التراجع في هذه المواجهة واستحالة الردة اليمينية في سوريا الى اسقاط اليهود السابقة واحدا بعد الآخر . لكن ضيق القاعدة المنظمة التي ارتكز عليها جناح البعث اليساري في حكمه ، وهو ضيق يجد تفسيراً له في تاريخ البعث خلال السنوات القليلة الماضية وفي " ازمة الثقة " بينه وبين الفئات التقدمية الاخرى ، جعل من المستحيل على هذا الحكم الجديد فتح مصوكة واسعة مع اليمين الداخلي عبر ما يمثل من مصالح فبقي ان يذهب الحكم الى المدى الاقصى في مصوكة مع القوى الخارجية العدو . اما الامل الذي عقده على ذلك فهو لف الجماهير الواسعة حوله ، على نحو يحصل كل محاولة يمينية لقلبه خيانة مفضوكة ، يتيح له مستقبلا خوض مصوكة الاشتراكية في سوريا . هكذا فتح الحكم السوري جولة المائدات مع شركة نفط العراق وكسبها ، ثم وثق تعاونه مع فدائيي جيش التحرير واعان كفاحهم داخل اسرائيل . كذلك وضع في راس شعاراته حرب التحرير الشعبية ، فشكل جيشا كان ، في تخطيطه ، وجهها من وجوه التناهم الشمسي ، يشارك في حماية الحكم من الرجعية السورية ، كما يجسد ، في مبدا تمبئته بوقفة الحكم من القضية الفلسطينية . لكن الاستعداد الفعلي ظل مقصرا في مسيرته عن اللحاق بالشعارات التي توالى في تصاعدها يطبها جو من الحمى السياسية لم يكن في وسع البحث الحاكم ان يجسد ، في وضعه الذي اجملناه ، بديلا له من قبيل التتليم الواثق او التخطيط البعيد .

ولقد مهدت جذرية الوقفة السورية سبيل اللقاء بين سوريا ومصر . وكانت سوريا ، اثناء عودة العلاقات بين النظامين ، تتكلم من موقع القوة ، دافعة الحكم المصري ، احيانا ، الى مجاراتها في سياستها العربية ، ملزمة اياه بالوقوف موقفًا واضحًا من شعارات هي ، في النهاية ، شعاراته ، رغم ان استراتيجيته العربية المفيدة خاصة ، بالوضع اليمني ، لم تكن تسمح له بطرحها على بساط التنفيذ .

اما على الضفة الثانية - ضفة الرجعية العربية - فقد بلغت الاستماتة اقصاها بعد فشل سياسة القمة . تكتلت انظمة اليمين تحت راية الحلف الاسلامي الذي رأت فيه الولايات المتحدة وحلفاؤها ، بديلا ممكنا للحركة القومية العربية ، اذ ثبتت استحالة التماشي ، داخل الحركة المذكورة بين الانظمة التقدمية والانظمة الرجعية ، وبسبب انسداد مسير الاستعمار ان مشكلات عدة بينها معركة اليمن وفزلة الحكم السوري في الداخل وتعدد الوضع العراقي وتعدد ارضا مواتية التضاريس تخاض عليها الحرب الاخيرة بين المعسكرين العربيين . لذلك خرجت الرجعية العربية من " القمة " وقد لمت شعشها ، بينما تبدى ان القضيتين اللتين عملت لهما مصر في " القمم " الثلاث قد خابنا مما : فلاقضية اليمن انحلت ولا تحويل الروافد نفذ ، وكانت آية ذلك - بعد ان رفض الاردن ادخال الجيوش العربية الى اراضيه وقاطع منظمة التحرير الفلسطينية ، ثم امتنعت السعودية عن دفع حتها في ميزانية التحويل ٠٠ الخ ٠٠٠ ان المؤسسات الرئيسيتين اللتين انبثقتا عن " القمم " وهما مؤسسة تحويل الروافد والقيادة العربية الموحدة ، بانها في معظم الاحوال جمجمة بلا طحين .

هكذا وجدت مصر نفسها - بعد تهافت القمة - تواجه من جديد تهمة تناقضاتها افواه خصومها العرب جميعا في صيغ مختلفة طوال السنوات العشر التي انقضت على العدوان الثلاثي ، مؤداها النظام الناصري يصرف همه عن القضية الفلسطينية الى منامات سياسته العربية ، بينما تمر اسرائيل من خليج العقبة الى اسواق آسيا وافريقيا آمنة مطمئة في حماية القوة الدولية .

تلك ، من بعد ، صورة الموقف مصر العربي ، شبة الحرب الاخيرة ، وهي ، في غاية الامر ، صورة الموقف العربي كله : أ - فشل في محسم جولة تحويل الاردن عبر فشل " القمم " في توحيد الموقف العربي ، فعليا ، من هضم القضية . ب - عودة الصراع بينها بين الرجعية العربية الى الاحتدام ، عبر مصارعة الحلف الاسلامي . ج - ضغط سوري متزايد مرده الى عجز سوريا عن مواجهة احتمالات المعركة مع اسرائيل بعد ان اسس

خطرها قائما . د - الترام عسكري ثقيل في اليمن ، يحمل اعداء الناصرية على استمواره
بغية استنزاف القوة المصرية واحراج الناصرية داخل مصر .

ابان ذلك كان نشاط الفدائيين الفلسطينيين يتزايد شهرا بعد شهر ، داخل
فلسطين المحتلة . وكانت اسرائيل تضع مسؤولية هذا النشاط على الدول العربية المحادة
وخاصة على سوريا والاردن . بل ان اشتباكات عديدة متراوحة الاتساع وقعت بين
الدولتين العربيتين والدولة الصهيونية . اما اسبابها فقد اختلفت بين النشاط
الفدائي وفلاحية المنطقة . المعجدة والرغبة في ضرب مشروع التحويل السوري .
وكان اكبرها العدوان على قرية السموع الاردنية والمعركة الكبيرة التي اشتركت فيها الطائرات
والمدفعات بين سوريا واسرائيل . ولقد كلن توسيع هذه المعركة الاخيرة
يوحي ، دونما عناء ، انها حملة تاديب على سوريا تأتي بعد ايام قليلة من
انتصارها على شركة النفط الاجنبية . هكذا بدا ان جو العداء بين العرب واسرائيل قد
تلبد من جديد بنجوم الحده اثناء معركة تحويل الاردن وعادت اسباب الحرب
الى التوافر كما في عام ١٩٥٦ بعد مشائر النهضة المصرية التي حملها تامين القناة
واصرار الحكم المصري على بناء السد العالي . ولعلنا نجمل الكلام السابق كله اذا قلنا
ان التناقض في الموقف العربي من اسرائيل ، قبيل الحرب ، كان قائما بين عنصرين : أ - ضعف
في الاستعداد العربي ، سياسيا وعسكريا . ب - اضطوار ذكرنا اسبابه الى التدرج في
توتير الجو حتى حافة الانفجار . ولقد كانت مصلحة اسرائيل تحتم عليها ان ترفع التوتر الى
اقصاه مستبقة مل تحسن ممكن في الاستعداد العربي ، لتفلقم من امر هذا
التناقض وقد فعلت .

كانت فاتحة السعي الاسرائيلي الى توتير الجو تصريحا او
اثمين نقلتهما الوكالات في الثاني عشر من ايار . اولهما تهديد باحتلال دمشق
بغية وقف النشاط الفدائي واثنيهما - وهو من " مصدر عال " - " يتنازل " عن نية الاحتلال
قاصرا الرغبة الاسرائيلية على " عمل عسكري " بقلب " الحكم العسكري " في
سوريا ، واضع في الحساب امكان التدخل المصري " رغم انشغال مصر في
اليمن " . تلا ذلك عرض عسكري اقامته اسرائيل في الرابع عشر من ايار -
وسط الاحتجاج العالمي - في مدينة القدس . اما في القاهرة فقد اعلنت ، في اليوم
نفسه ، حالة الاستنفار وبدا تحرك القوات المصرية نحو سيناء . حينذاك نفتت
اسرائيل من واشنطن - يا للبراعة - انباء حشد قواتها على الحدود السورية ،

لكهالهم تف التهديد الانف الذكر بل جددت اعلان قلتها من اعمال الفدائيين معاودة
التا' تهمتها على سوريا . ثم كان ان توالى خطوات مصر في سباقها المحتوم بينما
وقت اسرائيل موقف المتمسك ، قبل لحظة الخطر ، مكذبة - مرة اخرى - انباء حشودها على
حدود سوريا ، متتاسية تصريح " الصدر العالي " بعد ان اذى قسطه في
الخطوة ، بهتة اظهار مصر ، امام العالم ، في مظهر الصؤول عن افتعال التوتر ، حتي
اذا طلت صر انسحاب القوات من يوثات ونالت موافقته على ذلك في السابع عشر من
شهر ايار ، استغفرت اسرائيل جيشها ثم : استعدت الاحتياط في اليوم التالي ، محتجة على
ترار يوثات معلنة ان اغلاق تهرلن - وقد اصبح محتما - فقد توالى موافقها حتى الثاني والعشرين
من ايار ، وهو يوم اغلاق العقبة ، على النحو الآتي :

من جدة - او من لندن - مدد فيصل اقامته في بريطانيا عشرة ايام
اخرى ، في السابع عشر من ايار ، بعد زيارة رسمية كانت قد بدأت في التاسع منه ، اما
الرئيسون السودانيون فقد لزموا الصمت . ما خلا ممثل وزارة التربية الذي اكد عروبة
بلاده - وهو امريديل عليه اسمها - من تونس . . .

من تونس - قال ممثل الدولة في الامم المتحدة ما معناه ان تصرف
القاهرة معد للاستهلاك المحلي ، ملتقيا في ذلك - والقلوب شواهد - مع تصريح
اسرائيلي مشابه ، صدر في اليوم نفسه .

من عمان - كانت الاذاعة قد استأنفت هجومها على سوريا منذ الثاني
شهر من ايار ، لكن الاردن ، حينما بدا انسحاب القوات الدولية استغفرت تضامن .
من طرابلس الغرب تضامن .

من الكويت - استنكار للتحركات الاسرائيلية الاولى .

من الرباط - صمت .

اما العراق والجزائر فقد توالى استعدادها مظاهرا موقف مصر وسوريا .
واما لبنان فقد افردنا له جناحا خاصا من هذا العدد .

بقيت منظمة التحرير الفلسطينية التي احتلت قواتها مواقع القوة الدولية المنسحبة
في غزة ، بينما كان الشقيرون يعلن ان الحرب واقعة لا محالة .

من هذا كله يتضح ان الرجعية العربية قد تتراوح موقفها قبل بلوغ الازمة ذروتها بين الفخر من قناة القاهرة والتأييد الفاتر المنتصب، فيما عدا الاردن الذي يعرف خطر اسرائيل عليه ، وان تكن هذه المعرفة لم تغد من قبل الى تاهب فعلي لمواجهة ذلك الخطر في نطاق القيادة العربية الموحدة . لكن الانصاف يقضي بالقول ان " الممسكر العربي التقدمي " تلكا اياما طويلة قبل ان يقدم الخطر الفعلي النجم الى شعب الاردن على اعتبار آخر او يدرك ادراكا عمليا اهمية الاردن البالغة في استراتيجية المصرة المحتلة الوقوع . فقد نزل الحكم الاردني عن رفضه دخول الجيش العراقي اراضيه منذ الرابع والعشرين من ايار . لكن العراق رفض ارسال قواته مشترطا موافقة القيادة العربية الموحدة على ذلك . وانقضى اسبوع كامل قبل صدور الموافقة العراقية الذي تلا توقيع معاهدة الدفاع المشترك .

ها هنا لا بد ان ننظر لحظة في وضع الاستعداد العسكري الموحد لدى دول الجبهات العربية . كانت معركة الاعلام يوم الاردن من جهة وسوريا ومصر من الجانب الاخرى تشد او تتخفت وفق الظروف . ومهما يكن من امر الخطط التي وضعتها القيادة الموحدة ، فان اي تدبير عملي لم يتخذ بغية رفع القوة او خفضها عند كل جبهة على نحو : يتناسب مع دورها المرسوم في المعركة المحتملة كذلك كان امر استعادة العلاقات بين مصر وسوريا بخطاها الاولى . فلم يبد ان مالم يتحقق . في السابق ، من اقامة قاعدة جوية مصرية او قواعد في الاراضي السورية قد امسى وشيك التحقيق . اما في لبنان ، فقد اقر مجلس النواب ، ذات مساء من العام الماضي ، ان تعتمد الدولة الى استقدام قوات عربية الى جبهتها ، في حالة الضرورة ، ولم يستتبع ذلك بالطبع - حتى في حال الضرورة الاخيرة - اي تصرف قد يمهّد لذلك . هذه المهمات جميعا ، بدا في الايام الاخيرة من ايار ، انها يجب ان تحقق حالا ، اذا لم يكن قد تحقق منها شي .

وفي الثاني والعشرين من ايار اعلن عبد الناصر ، في سيناء ، اغلاق خليج العقبة ، قاطعا الطريق بذلك على كل تاويل قد يجعل لزيارة يوثات الى القاهرة - وكان منتظرا هناك في اليوم التالي - مغزى الوساطة في هذا الشأن . ولم يكن عبد الناصر يجهل خطورة قراره هذا ، وهي ناجمة بمخاصة ، عن فداحة الضرر الاقتصادي الذي يلحق باسرائيل من جراءه . ولكن رغبتين كبيرتين جعلتا هذا القرار - بعد وصول الجيش المصري الى الخليج - امرا محتوما :

اولا - الرغبة في تفادي الاحراج الضخم الذي كانت مصر سوف تتعرض له امام الراى العام المصري ، اذا هي لستكت عن توكيد حقوقها في تيران بعد انسحاب القوة الدولية وان كانت الظروف تجعل هذا التوكيد - يوم حصوله - امرا بالغ الخطر .

ثانيا - الرغبة في استخدام الملاحه عبر تيران وسيلة ضغط على اسرائيل ، تحملها على اعاده النظر في موقفها من القضية الفلسطينية ، لى ارضهم انكارا تاما دعائمه وجود اسرائيل ، منذ تاسيسها ، في موقع القوة ثانيا في ذلك شان كل منتصر .

اما الرغبة الاولى فثابتة واضحة . واما الثانية فلنا عليها قراراتنا لذكرتها .

اولا - حديث ادلى به عبد الناصر الى السياسي الفرنسي "جبل مارتنيه" في اواخر عام ١٩٦٣ لم ينف خلاله امكان الوصول الى حل سلمي لقضية فلسطين بل قال انه تصور دولة عربية - يهودية تقوم في فلسطين على اساس المناصفة امر مقبول .

ثانيا - قوله في المؤتمر الصحفي المشهور الذي عقده يوم الثامن والعشرين من ايار ان المشكلة ليست مضائق تيران وانما هي مشكلة الظلم الذي وقع على شعب عربي منذ عشرين سنة ولا يزال واقعا . وقد ورد هذا القول في البيان المكتوب الذي افتتح الرئيس مؤتمره به ، وكانت العناية واضحة في صياغته ا

ثالثا - طرح القضية الفلسطينية كاملة ، في اليوم التالي ، على مجلس الامن الدولي بناء على طلب من مصر .

رابعا - قول عبد الناصر ، في خطاب استقالته ، مفسرا اغلاق مضائق تيران : " لقد كان مرور علم العدو امام قواتنا امرا لا يحتمل فضلا عن دواعي اخرى تتصل باعزاماني الامة العربية . "

واذا سلمنا بان بسطا هذه النية الناصرية بسطا صريحا كان امرا

بالصعوبة ابان احتدام الازمة اوبعد النكسة ، ثم اذا تفهمنا ان " امر
اماني الامة العربية " لا يمكن ان تكون اغلاق خليج العقبة ، مجردا عن سائر جوانب القضية
العربية الاولى وهي قضية فلسطين ، فان التلميح يندو في وضوح التصريح ويضحي في
وسمها ان نذهب في التفسير الى ما ذهبنا اليه .

بيد ان النية المذكورة كانت تلفها ، في الجو العربي ، غشاوات خانقة
اهمها نمط التعبئة الدعائية الخاصة بقضية فلسطين في داخل المنطقة العربية وانسحاق القادة
الحرب باشكال متباينة ، على خط هذه الدعاية التي املت تجلياتها مصالح انظمتهم من
جهة والتصلب الاسرائيلي الاعصى في قضية الشعب الفلسطيني من جهة اخرى . ولقد
كان صدى الاستتكار البعيد الذي لفته خطاب بورقيبة وتصريحاته في ربيع ١٩٦٥ لا
يزال في الاسماع ، بعد ان قبض الرجل ثمن اقواله معونات وتأييدا من الولايات المتحدة
والمانيا الغربية فور عودته ، الى تونس من رحلته المشهورة . لذا راينا بني مصر في
السعودية يسجعون المقامات في بني صهيون ، منذرين بالويل والثبور وعظائم الامور .
وسمعا " صوت العرب " يلقي يهود فلسطين في البحر بين اروع الانعام . ثم سمعا
يوسف زعين يعلن ، يوم وصول ثانت الى القاهرة ، ان اوان المعركة قد حان ،
مرددا اصداً خطب الجهاد في الجوامع العربية . ثم سمعا الشقيرو في
القدس ، يرفع عقده بعد ان تصالح مع الحسين . قائلا ان جيش الاردن وفلسطين
قد يبادران الى فتح المعركة ، مواسيا هذا الفزم باقوال عنصرية قدرة نالت
بالقضية عن غايتها وشوهت وجه الموقف العربي امام العالم . بل ان عبد الناصر
نفسه لم يانف من القول ، امام العمال العرب ، في السادس والعشرين من ايار
" ان هدف الصراع سيكون تدمير اسرائيل " ، فواصل بذلك خطة قديمة قوامها ان
يقال للجماهير العربية شي وللواى العالمى شي ، اخر ، كلما طرق البحث
قضية فلسطين .

خلال هذه الروائع وسواها سمعنا تصريحا واحدا ، اطلقه ابراهيم طاهر
ربط فيه بين اسرائيل من جهة ومصالح الاستعمار والاحتكارات البترولية والانظمة الرجعية
من جهة اخرى ، لكنه لم يوضح جوانب ذلك الربط . كلمة واحدة كان ينبغي
ان تكون صلب الدعاية العربية التقدمية منذ سنوات طويلة ، جاءت في اوج
الازمة ، قصيرة عابرة فاضحة . . .

اما في اسرائيل ، فقد كان الحكم يقود معركته ، بكثير من الدراية ، وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي : حاول اشكول ، بادئ بدء ، ان يخول دون عودة الجناح المنشق من حزب الماباي الى السلطة ، ولقد كان هذا الجناح الذي اطلق على نفسه اسم "رافي" يدعو الى الحرب ، وهو في خارج الحكم ، ملتقيا في ذلك مع "العتاة" ممن اهل اليمين القدسي المتعصب . لذا اخذ اشكول يطلق التصريح تلو التصريح ، مطمئنا الى انه سيفك حصار الخليج تارة ، قائلا ان "اصدقاء اسرائيل" هم الذين سيعملون على فك هذا الحصار تارة اخرى . ولا يعني ذلك ، طبعا ، ان خطة الضربة العسكرية لم تكن قد رسمت حتى ذلك الوقت (التاسع والعشرين من ايار) . فلا بد انها كانت معدة منذ زمن اوقيد الاعداد على الاقل ، بحيث لم يحتج دايان الا الى ضبط جوانبها ضبطا كاملا يتلاءم مع الظروف المستجدة على كل جبهة . يشهد على ذلك اشكول نفسه الذي عزا النصر الاسرائيلي الى رئيس اركان رابن مقالا ممن دور دايان في كسبه ، وهو تسلم وزارة الدفاع قبل اندلاع الحرب بثلاثة ايام . ومهما يكن من امر فان ارتفاع حمى الحرب في اسرائيل غلب مقاومة اشكول ، فدخل الوزارة الاسرائيلية اثنان من اخبث الساسة في الدولة الصهيونية : مناحيم بيغن جزار ديرياسين ، وموشى دايان "بطل" المدوان الاسرائيلي على سيناء عام ١٩٥٦ وريبب الولايات المتحدة التي دعته في العام الماضي الى الاقامة بين انذالها في فييتنام ، فترة افاد خلالها واستفاد . اذ ذاك - في اول حزيران - امت الحرب امرا لا مفر منه ولم يبق للحرب الا ان ينتظروا الضربة الاولى . هذا وبينما كان مصطفى طلاس يقول في حمص انه يريد ان يدفع اسرائيل الى ارتكاب حماقة تمهيدا للقضاء عليها مردفا ان مصر وسوريا تحتاجان الى اربعة ايام في سبيل ذلك ، كان دايان يقول في مؤتمر صحفي ، لكل ذي سمع فيسمع ، ان كل شيء يتوقف على مكان المعركة ، مردفا ان اسرائيل مازالت تنتظر نتائج الجهود الدبلوماسية حصل ذلك قبل المعركة باقل من يومين

ثانيا : الحرب

لا ريب في ان ما لدينا حول ايام الحرب ما يزال قليلا شائها . فسيرو الممارك تبقى تفاصيله امرا لا ينتظر كشفه بين يوم واخر . لكن علينا رغم ذلك ان نفيد مما في حوزتنا - على قلته - محاولين تحليلا كبير الملامح لاسباب النكسة العسكرية التي اصابت المسكر العربي . وفي وسعنا ان نقسم هذه الاسباب الى فئتين : اساسية ونظرية ، دون ان يكون لهذه القسمة طابع القطع .

اما الاسباب الاساسية فهي التالية :-

أ - تفوق الاعداد العسكري الاسرائيلي على الاعداد العسكري العربي ، وهو امر ترجح اصوله بالدرجة الاولى الى ان قسما كبيرا من اليهود الاسرائيليين كانوا مواطنين في بلدان صناعية ثم انتقلوا الى بلد صناعي اخر - هو اسرائيل - بينما تولى قسم كبير منهم في هذا البلد الاخير ، فاتح لهم ذلك تاطيرا حسنا وتعودا على التقنية الحديثة ، وتوجه هذه الاصول بالدرجة الثانية الى ضخامة الطاقة الاقتصادية المسخرة للمجهود العسكري في اسرائيل . اما الجيوش العربية ، فهي جيوش بلدان متخلفة لا تجد في غالب الاحوال كفايتها من الاطر الصالحة ، ولا تتمح موازنتها للجندى مستوى معيشيا يرضيه .

ب - وحدة الجيش الاسرائيلي قيادة وغاية وسلاحا ، وتفرق الجيوش العربية من سائر هذه النواحي .

ج - اختلاف التهيئة النفسية السياسية لدى الجندى الاسرائيلي عنها لدى الجندى العربي . فلهرب عند الاسرائيلي حوب حياة او موت اما عند العربي فهي - رغم انها حوب حياة او موت كما ظهر من بعد - دفاع عن حقوق الاشقاء المملوكة يتفاوت استعداد الافراد للبذل فسي سبيله . يضاف الى هذا ان مكان الضباط في المجتمع المصري ظل طوال سنوات يمتص شيئا فشيئا تاهبهم للقتال . فالامتيازات التي كانوا يرتعون في نعمتها ، داخل مجالس الشراكات او سواها لم تكن ، اذا عطفت على ضحالة الوعي السياسي ، تربي في نفوسهم اخلاقية المناضلين ، بل انها اذت الى تفشي الانتهازية والاستعلاء ، فوصل كثيرون الى مراكز ليست لهم ، بينما ظل اهلها من الخبراء المصريين في المواضع الدنيا . اما في سوريا فان الانقلابات المتوالية وما رافقها من تصفيات ، خفضت مستوى الكفاءة في تاطير الجيش وخلقت نوع من الانتهاز السياسي له ، هو الآخر وجوهه الاقتصادية ، جعل المبادئ في كثير من الاحيان ، مطية سهلة الى مواطن الحكم . كذلك بدا ان ما سخر من الجهد والكفاءة في سبيل انشاء الجيش الشعبي ظل دون المطلوب بكثير . وقد ظهرت آثار ذلك كله في سياق المعركة وكانت - في راينا - اهم اسباب النكسة .

اما الاسباب الدلرفهمفة فهذه اهمها :

أ - تصور المصريين ، اياما طويلة ، في بداية الازمة ان مهمتهم مقصورة على منع الحرب من الوقوع لا على خوضها فعلا ، مما ادى في ما يبدو ، الى التهاون في شان الكثير من النواحي .

ب - ضعف التنسيق بين الجبهات وهوا مر تفسره ضيق الوقت الذي اتيح بجهد التنسيق وظروف اختسرى فسرناها آنفا .

ج - التفاوت بين طول الجبهة الاردنية - وهي استراتيجيك اهم الجبهات - وبين حجم القوات المعشودة عليها ، اذا وقع العدوان بعد توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين عمان والقاهرة اربعة ايام فقط ثم بعد ابرامها في بئداد بثلاثة ، فلم يتوفر الوقت الكافي لدعم الجبهة الاردنية على نحو يتناسب مع اهميتها .

د - القيود السياسية التي عرقلت حربة الجيش السوري في تحركه بهذا ، على اي حال امر وثيق الاتصال بالحقة المعاصرة من تاريخ سوريا كله .

هـ - عنف الضربة الاولى التي دمرت معظم الطيران العسكري المصري فكشفت بذلك قوات البر لطيران العدو وحرمت الجيوش العربية من حظها في ضرب المنشآت الاستراتيجية داخل اسرائيل ، وهي قائمة في معظمها على مساحة ضيقة من الارض تجعلها بالغة الضعف امام القصف الجوي . الا انه لا يسعنا ان نعتبر هذا السبب ظرفيا ، فعلا ، لان الموقف الدولي لم يكن قد ترك للصرب خيارا في الامر .

هذه الاسباب وسواها ادت بالصرب الى خسارة الجولة . ولقد كان بعضها يمتد قبل الحرب وظهر البعض الاخر خلالها . لكن ما كانت تعرفه اسرائيل - وحلفاؤها - منها حينما فجرت الازمة كفاها حافزا على الثقة بالنفس ودافعا الى افتعال الجولة . ولا نرى فائدة من اخفاء الالفة الباغضة التي اوقعتها " حرب الايام الستة " لما يدعوها الاسرائيليون على كواهل الشعوب العربية المفدورة ، فان التستور لا يعين في شيء على الم حالجة " = . لذا نصرف همنا الان الى تخمين ثمن الحرب ، متحاشين وسع الطاقة بموقف النبوءة .

ثالثا - ثمن الحرب .

كانت غاية المعركة القسوى في تصور اسرائيل ، قلب نظامي الحكم التقدميين في مصر وسوريا بحيث يتفاهم امر المد الرجعي في المنطقة العربية فيحتاج له على مدى يطول او يقصر تصفية حركات التحرر الوطني واحد تلو الاخرى . هذه الغاية حلقة هامة من حلقات الاستراتيجية التي تمتمدها الولايات المتحدة منذ سنوات في العالم الثالث ويتناولها نقال آخر في هذا العدد . اما مصلحة اسرائيل في الامر فقد بدت مرة اولى في عدوان ١٩٥٦ الذي استهدف الثورة المصرية في بدايات سمها وراء النهضة . كذلك هالت اسرائيل لحكم الرجعيين في سوريا بمعد الانفصال وهددت

مرارا بالتدخل عسكريا اذا قلب نظام الحسين في الاردن واعانت الائمة الاخيار في اليمن عبر صديقتها
ايران . . الاخير . . فهي تعلم علم اليقين ان نظاما يبني القوة العربية على كل صعيد ، اجتماعيا
كان او اقتصاديا او سياسيا او عسكريا يفقدها وضعها المتميز امام العالم على سائر الاصعدة ويلزمها
في النهاية على الاقل ، باعادة النظر في تكوينها وتوجهها الحاليين حين يملك القدرة على توكيد
الحق العربي فعليا في فلسطين . لذا فان المواجهة العربية - الاسرائيلية هي منذ البداية
مواجهة كلية لا تتناول جانبا او صعيدا دون سواه . وهي ، من زاوية اخرى ، مواجهة تقف
فيها اسرائيل والامبريالية العالمية كلها على جانب . بينما تقف الشعوب العربية كلها وقوى التقدم
في العالم على الجانب الاخر . واذ كانا ندرس ان مثل هذا القول يغض الطرف عن تمايز المصالح
ومن بعدها المواقف بين الفرقاء على كل ضفة ، فانه يبقى رغم ذلك ، صحيحا على المستوى الاساسي الذي
تقف عنده بنية الازعاج . اما الرجعية العربية فهي موضوعيا ، في صف اسرائيل وحلفائها وان يكن
من المستحيل عليها ان لا تراعي الظروف الحادة مواقف الشعوب ، متهربة من ذلك وسعها ، مداجية
مخاتلة متحيلة . فالمسألة اذا ليست كما تراها هذه الرجعية ، وقد ورث التقدميون كثيرا من هذه
الرواية - مسألة تضامن مجرد مع الاشقاء الفلسطينيين ، وليس لاحد على اولئك الاشقاء منة لان معركتهم ،
شان معركة فينتام ، هي ، في قالبها الاخير معركة الحرية والتقدم لهم ولسائر حلفائهم وان يكن
تنظيمهم بمستوى وعيهم ووعي العالم مع هذا الامر لم يبلغنا ، الى يومنا مدى يعيهم لهم ما يعي لشعب
فينتام . هكذا . تبدو خسارة الجولة الاخيرة ، نكسة تناولت سائر الاصعدة التي ذكرناها اعلاه وتبدو
الفائدة منها - وهي واقعة - دروسا لا بد من استخراجها ، ولو ان صياغتها لا تنفي عن العمل بها
في مستقبل المواجهة .

حتى اذا عرضنا للخسارة ، اولا ، مرتفعين من صعيد الى آخر ، وجدنا ان لها
تجلت مباشرة في ضرب القوة العسكرية العربية ضربا قاصدا شمل الرجال والعتاد والمعنويات ،
قد تبقى آثاره سنوات مستطيلة على من تلقوه . فان هذه الحرب القصيرة ظهرت وكأنها نزيف
مرعب بدد معظم ما كان العرب قد اعدوه خلال السنين العشرين الماضية . واذ نحن تذكرنا
ضخامة الشطار الذي كان الاعداد العسكري يستهلكه سنويا من موازنة سوريا او موازنة مصر ،
ثم تذكرنا ان ايران العصرية قد اعدم في الضربة الاولى او كاد وان طوابير مدرعة كاملة قد
دمرت او اسوت في سيناء وان التحصينات الباهظة الكلفة على الجبهة السورية قد امت في يد العدو
يفعل بها ما يشاء وان الجيش الاردني ، وهو خيرة المقاتلات العرب قد ابعدت خبرته ادركا
اذ ذاك فداحة ما حل بالجيش العربية المقاتلة ، وهي التي ضعى العرب في تكوينها بموارد كان
يسمحهم لو تركوا لشانهم ان يستثمروها في بناء اقتصادهم الوطني بحيث يقهرون قرون التخلف الموروث .

هذا وان المناطق العربية المحتلة باتت تشكل احزمة واقية حول اسرا ئيل ، بعد ان كانت هذه
في متناول المدافع العربية ، فتحول بذلك الوضع الاستراتيجي الذي كان تفوق العرب في مجاله
واضحا غاية الوضوح .

اما الخسارة الاقتصادية فيسهل الوصول الى تخمينتها من الخسارة العسكرية ذلك
انه سوف تضاف الى نفقات المعركة نفقات جديدة تستدعيها اعادة بناء الجيش ومواجهة ما تقتضيه
الرحلة الحاضرة هذه الاعمى المستجدة ، تتجدد الدول العربية في تحملها مشقات مستجدة لم
يكن لها وجود قبل الحرب . ثم احتلال القدس والضفة الغربية من الاردن حرم هذا البلد قسما
من موارده يقارب نصفها ويتناول القطاعات الثلاثة جميعا . يضاف الى ذلك ان مئتي الف نازح
من سكان الضفة الغربية ، لا ينتظر عودة الكثير من بينهم في القريب حلوا في شرقي الاردن بعد ان
خلفوا ، في ارضهم مصادرمعيشتهم . هكذا باتت دولة الاردن كما في راي احدى الصحف العالمية
امارة من امارات الصحراء مضطورة لموت بطي . اما مصر فقد تبدي ثقل ما تحمله نتيجة الخسارة العسكرية
وفقدان بعض الموارد — عائدات القناة والسياحة وبتترول سيناء الى جانب المرض الحالي بموسم القطن
— وتبذلت اكاليف التعمية الحاضرة كذلك في الموازنة الجديدة التي رفعت اسعار بعض السلع وزادت
عددا من الضرائب واقتصت جزءا من موازنة التنمية لتواجه بكل ذلك نفقات الغذاء وانفقات الاستعداد
الوطني . واما سوريا فان قسما من اراضيها هي الاخرى ، قد قطعت وارداته المجموع الاقتصاد الوطني
كما ان عليها ان تعد العدة شان الدول العربية الاخرى لاحتمال التطورات القادمة . وقد كانت
شاركة الدول العربية الفخية في اعانة دول الجبهات ضئيلة جدا اذا قيست بحجم المعركة . فلم تدفع
السعودية شيئا يذكر تاركة الامر لمليكمها السابق المقيم في مصر . ووزعت ليبيا هبات ضئيلة
على الجيش ، اما الكويت فقد تبرعت بمبلغ خمسين مليوناً من الدنانير ثم رفضت ان تدفع المزيد ،
بينما ضلت مئات الملايين قابضة في الصناديق البريطانية . وكان ان اجبر الطواغاة الاستعماري
دول البترول امام شعوبها ، على قطعه عن كل من بريطانيا والولايات المتحدة والمانيا الغربية وقد
اثبت الشيخ الطريقي ، بلغة الارقام ان قطع البترول على هذا النحو — رغم الضرر اللاحق من
جرائه بدول العدوان — يستحيل ان يستمر طويلا بحيث يبلغ هذا الضرر مدى محسوسا . كما
يحمونا من موارد نحن اليها في امس حاجة . فلا يبقى ثم من حل الا ان يؤم النفط العربي كله .
ذلك ان التاميم يضيف الى المائدات مثلها فيخمدو وضع الدول الصادرة في النهاية — رغم المقاطعة —
افضل مما كان عليه قبل القطع اذا يزداد ربطا مما تصدره الى الدول الصديقة مثلا واحدا هو ،
حاليا حصة شركات الاحتكار . لكننا لا نرى في الافق ما يدل على ان الصروش التدارست قوائمها
على اكتاف الشركات مستعدة للدخول معها في معركة مصير

وأما الخسارة السياسية فقد كان منظرها الأول طمر القضية الفلسطينية الكبرى تحت ركام من القضايا التي خلفها العدوان . فان اسرائيل أصبحت تملك اليوم مقدارا " من وسائل الضغط تريد ان تملو بها الموقف العربي من قضية فلسطين . فهي لا تنفي التنازل عن مكسب مما حققته دون ان تتال عوضا عنه تنازلا " من جانب من جوانب الحق العربي في فلسطين . وهي ترى فوق ذلك ان تحتفظ بالقدس العربية ، فضلا " عن قطاع غزة والمرتفعات السورية ، وهما منطقتان تجد في درس مستقبلهما الآن . لذا امسى العرب الى امد قد يطول ، مهتمين لازالة ماسمي بآثار العدوان أما قضية الشعب الفلسطيني فقد ابتعدت ، بعد المعركة ، من افق البحث . يبقى لنا مكسبان سياسيان قد يكون لهما اثر طيب على مستقبل العمل الثوري في المنطقة العربية هما تبلور الحق الشعبي على الاستعمار العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة وتوثيق الصلة التي تشدنا الى المعسكر الاشتراكي .

غير ان ما يقال في هذه الفترة على الاقل من قيمة المكسبين المذكورين هو ان جبهات النضال الداخلي في سائر البلدان العربية قد فترت كثيرا " خلال الصراع مع العدو الخارجي . فقد طرحت شعارات الوحدة الوطنية الى جانب شعارات التضامن العربي واغتمت الرجعية ظروف المعركة على جبهتين ، اذ استباحت لنفسها ، من جهة ، ان تتخذ موقفا " مائعا " من شركاء اسرائيل في العدوان وقامت ، من جهة اخرى بتحميل الطبقات الشعبية او المتوسطة ، عبء الظروف الاقتصادية الناجمة عن الازمة . اما على الجبهة الاولى فقد استفادت الرجعية من خفوت معركة الاعلام بين الانظمة العربية ومن السهولة في اتخاذ تدابير استثنائية لضبط النقمة في الداخل . واما على الجبهة الثانية فقد استغل استعدادات الشعوب للبذل في سبيل الحفاظ على امتيازات التحالف الحاد كم داخل بعض الاقطار العربية . ظهر اثر ذلك ، اولا " ، في السعودية حيث خفت رواتب الموظفين ثم اخذت بوادره تظهر في لبنان . . . هذا وان علينا ان لانسقط من الحساب في المستقبل - بعد هذا الجمود وما رافقه من ارتفاع في الحمى القومية - امكانية بالغة الخطورة هي قيام الجيوش العربية الجريحة بحركات فاشية ، تكون في الواقع اذا هي انتصرت اسواء ما يمكن نجومه من النكسة ، اذ يستكمل بها انتصار اسرائيل وتحقق غاية الانبريالية القصوى . . .

==

انه ل يبدو جليا من كل ماسلف ، ان اليسار العربي يواجه اليوم مهمات مصيرية كشفتها المعركة ، لايسع الناظر في امرها ان ينعت التلكؤ في تحمّلها بأقل من التخلي او الخيانة . واذا كان الوضع الحاضر يحتم على سائر الدول العربية ان تجهد في سبيل التوصل الى صيغة لقاء يمنع آثار العدوان من التفاقم ويمنح تسخير الامكانات كلها لمقاومته ، فان على اليسار الا ينسى ان علة النكسة في الانظمة وان اشد الاسلحة مضاعفة - النفوذ - في كسب الجولة التي بدأت هو اليوم في يدى الرجعية . لذا فان اقل الواجب هو فضح كل تخاذل او تواطؤ /

وانتهز في الصف الرجعي لتبيان مآدى الى النكسة من علل اساسية قد لا تكون بينة تحت الظروف الآتية
التي تستطبع مباشرة نظره الجماهير الواسعة . كذلك يواجه اليسار مهمة التغيير في نمط التمبئة
الدائنية هربا " ، من اجل قضية الشعب الفلسطيني ، بعد ان كانت هذه التمبئة مجال استغلال وتحويل
طسا معالم القضية واحالها ناقلة " بين النواقل لا يرى فيها المواطن العربي فجها من وجوه معركته الكبرى
ضد الامبريالية والرجعية والتخلف ولا يستقرا في انتصارها نصرا لكفاحه اليومي على طريق الحرية والكفاية
والقدم . ولقد ظلت مبادرة اليسار ، في معظم وجوهها ، بعد النكسة ، مقصورة على شحذ
الهمم ، مقصرة عن بعض مآطوحه الحكم الناصري نفسه او المح اليه ، منساقه دون روية او نظير ،
مع كل ما يصدر من القاهرة ، متاسية ان دور اليسار ، في هذه المرحلة ، هو قبل كل شيء
دور الرقابة الجماهيرية التي تتصدى لكل تراجع او انحراف ايا " كان مصدره ، فاننا اذا راجعنا عناصر
الدعاية المنشورة على صحف اليسار وجدنا ان الحديث عن امور - لاشك في جدواها - من الدعم
السوفياتي الى دعم الناصرية طغى على امور اخرى هي في الواقع مهام اليسار نفسه في موقفه امام
الجماهير . ذلك ان الحفاظ على ماتبقى مرهون ، في قيمته وامكانه ، بما ينبغي بناؤه او تنهيه . لذا
فان شعار التنظيم الثوري الموسع في الداخل هو اول ما يسعى اليسار ان يعتبره شعارا له . فاصحاب
الصلحة في المعركة هم اصحاب النصر فيها اذا توافر لهم الوعي العميق داخل التنظيم المرصوص .
ثم ان التجانس بين القوى المجندة هي وحده الكفيل بحماية التنظيم من اعدائه في الداخل وتوسيع
استمداده لمواجهة الجولة القادمة مواجهة الصمود . هذا وان الجماهير الخدولة مستعدة اليوم ،
بمقوتها ، لان تصيح السمع الى منظمات اليسار اذا ماجات تشرح لها اشكال التهي للنصر مثبتة
ما ثبت لكل ذي عينين من ان التنظيم الثوري الحق - ولندكر في تمام - هو سلاح المعركة وان الانظمة
الثورية الحق هي انظمة النصر . يبقى على اليسار العربي ان يبرهن ان معركته هي معركة شعوبه .

بعد اكثر من شهرين مرا على معركة الخامس من حزيران ، نستطيع ان نرى وان نناقش بوضوح مواقف الدول والكتل العالمية من قضية فلسطين بعد ١٩ عاما من قيام اسرائيل ، شهد العالم خلالها والمنطقة العربية من ضمن تغيرات مهمة على صعيد الانظمة والدول والتكتلات.

في اعقاب الخامس من حزيران ، كان المواطن العربي ، والممركسة لاتزال تدور فوق ارضه ، منهمكا في مناقشة : هل الولايات المتحدة الامريكية تحارب سرا الى جانب اسرائيل ام لا ؟ .. وعلى اساس الجواب ، كان المواطن العربي مدعوا لتحديد موقفه من الولايات المتحدة الامريكية . وهل الاتحاد السوفياتي يقف معنا بصدق ، ام هو متواطئ مع امريكا ؟ وعلى اساس الجواب ، كان المواطن العربي مدعوا الى تحديد موقفه من المعسكر الاشتراكي ، وربما من الاشتراكية نفسها .

وفي هذا الوقت بالذات ، كانت انظمة عربية " تفجع " بمواقف العديد من دول " عدم الانحياز " ، وكان اليسر العربي " يفجع " بمواقف اليسار الاوروبي الذي لم تكن معظم فضائله تقبل عدا للرب عن اليمين والوسط . ربما كان ثقيلا على السمع " ان نحمل منذ البدء ، منظمانا اليسارية مسؤولية هذا المستوى من الوعي السياسي لدى الجماهير العربية .

ولكن ، مسؤولية من ، ان يتسأل الرأي العام العربي وهو في قلب المعركة ، عن " علاقة " امريكا باسرائيل ، وعن " الموقف " من امريكا ومسؤولية من ، ان يتسأل المواطن العربي وهو في قلب المعركة ، عن موقف الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ، وان يندم ، لانه خدع ذات يوم بوصفه سحرية قالوا له ان اسمها اشتراكية .

ولو كانت الانظمة الاشتراكية العربية اشتراكية فعلا ، والاحزاب الاشتراكية العربية اشتراكية حقا ، لكان على المواطن العربي ان يعرف قبل الخامس من حزيران بكثير اي عدو سيحارب يوم ه حزيران . ولكان عليه ان يواجه العدو وان حاملا سلاحه ووعيه ، مدركا بغير تشكيك او قلق .

ان العدو الذي يحاربه هو الامبريالية الامريكية التي تحمي اسرائيل وتمدها باسباب البقا .

وان حليفه الطبيعي هو المعسكر الاشتراكي كله : الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وفيتنام وكوبا والبلدان الاشتراكية الاخرى . اي ان يضع علاقاته بالعالم الخارجي في اطار محدد واضح ، وان يناقش من ضمن هذا الاطار : كيف أفجر الشرايين الاميركيين التي تحمل للعدو الاسرائيلي الدم عبر الارض العربية ومن منتجاتها وموادها الخام ؟ ... ما هو المطلوب من المعسكر الاشتراكي ، وكيف يمكن تنسيق الادوار والمهام ؟

وطرح الاسئلة بهذا الشكل يعني ببساطة ، ان الاهداف متفق عليها بوضوح وان النقاش يدور حول الاساليب والوسائل . وهو نقاش ، ليس مشروعا فحسب ، بل ضروري ، وبديهي معاه . ان تحديد الاطار العام لايلغي ضرورة فهم الخطوط المتشابهة التي تولف الصورة من الداخل ، فوضوح الرؤية هو سلاح الوعي الذي افتقدناه . ولاتزال تتلمس جوانبه المسحورة المتنفذة ، بخوض اسرار الكواكب البعيدة التي لم تطأها الاقمار والمركبات الفضائية بعد .

...../.....

الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي : ان احداث ه حيزان لم تصنع الموقف السوفياتي . بل ان هذا الموقف كان تعبيراً عن خط عام ارساه المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي عام ١٩٥٦ يتعلق بانتهاج سياسة التعايش السلمي مع الانظمة الاجتماعية المختلفة ، والانتقال السلمي الى الاشتراكية ، والموقف من الديمقراطيات الوطنية التي تكاثرت انظمتها في الخمسينات ابان استقلال عدد كبير من الدول في افريقيا وآسيا ، وانبثاق سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز عن مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ والمؤتمرات الاسيوية الافريقية اللاحقة . هذه الاستراتيجية السوفياتية ، التي اعقبت الحقبة الستالينية ، والتي كانت في مابعد ، في اساس الخلاف الصيني السوفياتي المستمر ، ترى :
- ان اى صدام مع امريكا سيؤدي الى حرب نووية تقضي على كل المنجزات الانسانية ، ولا يبقى بعدها لا انظمة اشتراكية ولا انظمة رأسمالية (اى ان الاشتراكية لا تنتصر بالحرب) .

- ان فرص انتصار الاشتراكية تنمو وتزداد في المعارك السلمية ، وان الرأسمالية هي التي تنهزم امام مقررات الشعوب
اما الموقف الصيني فيرى :
- ان الامبريالية العالمية نمر من ورف لا يجرو' على تفجير حرب نووية .
- وان الامبريالية الامريكية هي التي تجني ثمار الموقف السوفياتي ، فتقوى مواقعها ، وتضرب حركات التحرر . (اما الفائدة من ان يربح العالم مثل هذا السلم ، ويخسر الاشتراكية والحرية ؟) .
وقد لاقى الموقف الصيني تأييداً عملياً في الهجمات التي تشنها الامبريالية الامريكية على المواقع الرئيسية للثورة العالمية ، من كوبا في امريكا اللاتينية الى فيتنام واندونيسيا في جنوب شرق آسيا ، الى غانا في افريقيا ، والبلدان العربية في الشرق الاوسط اخيراً .

وفي ظل الموقف من الديمقراطيات الوطنية نمت العلاقات العربية - السوفياتية ، فقدم الاتحاد السوفياتي ولايزال ، الى الدول العربية المتحررة ، وخاصة مصر ، مساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة ، ووقف الى جانب هذه الدول في اوقات الازمات ، مثل ازمة السويس ، وثورة العراق عام ١٩٥٨ ، والتهديد التركي الاميركي لسوريا عام ١٩٥٧ .

الا ان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي لم تجر باستمرار على خط منقب ، فقد اعتبر النظام الناصري احياناً من الديمقراطيات الوطنية ، واخرى نها في احيان اخرى ، تبعاً للنظرة السوفياتية من جهة ، ولموقف هذا النظام من الشيوعيين المصريين من جهة اخرى .

وظلت العلاقات تتراوح بين الحماس والفتور حتى زيارة خروشوف للقاهرة عام ١٩٦٤ ، التي اعقبها اعلان حل المنظمات الشيوعية في مصر وانضمام اعضائها للاتحاد الاشتراكي العربي .

وقد أرسى رحلة خروشوف معالم موقف واضح اعتبر النظام الناصري نموذجاً للديمقراطيات الوطنية التي تسير في طريق متحرر ولا رأسمالي .

اما موقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين فقد استقر على شجب مواقف المنظرين الاسرائيليين ، وتأييد حقوق عرب فلسطين في العودة الى بلادهم ، مع استمرار الاعتراف بالوجود الاسرائيلي كدولة وتبادل التمثيل الدبلوماسي والعلاقات الاقتصادية والثقافية معها .

ولعل الموقف الحازم (نوعا ما) الذي وقفته دول المعسكر الاشتراكي من العدوان الاسرائيلي بمساعدة الدول العربية اقتصاديا وعسكريا ودبلوماسيا جاء نتيجة شعور هذه الدول بخطورة عدم الرد على الامبريالية الامريكية التي تتقدم بقوة السلاح ، وبدون اى رادع دولي ، خاصة وانه يسقوط الانظمة العربية المتحررة تصبح البلدان الاشتراكية المجاورة اهدافا مباشرة للامبريالية الامريكية ويعد منطقة الشرق الاوسط الى وضع مشابه لما كانت عليه قبل السنوات العشر الاخيرة ، مركزا للقواعد الامبريالية الامريكية الجديدة .

واذا كثنت المساعدات السوفياتية اسهمت في تجنيب الانظمة التقدمية العربية خطر الانهيار ، فانها لم تنجح في انقاذ الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلي ، وهذه على اى حال مسؤولية عربية ، وليست مسؤولية سوفياتية ، حتى ولو كان العدو الذي نواجه هو الولايات المتحدة الامريكية . بقي ان نشير الى ان الرأى العام في البلدان الاشتراكية لم يكن يشارك حكاه في حماسهم للحرب ، وذلك يعود في رأينا الى سببين :

الاول - هو ان حس الثورة العالمية لدى شعوب هذه البلدان قد تقلص ، نتيجة ارتفاع مستوى معيشتها ، والتفاتها اكثر فاكثرا الى الاهتمام باوضاعها الداخلية على اساس ان العلاقات الخارجية ، هي عمل الحكام واهتمامهم . الثاني - ان الانظمة التقدمية العربية ، لم تطرح قضية فلسطين ، في علاقاتها مع المعسكر الاشتراكي ، على انها عمليا قضية تحرير وطني . وكيف يمكن لهذه الانظمة ان توضح ارتباط الوجود الاسرائيلي بالامبريالية الامريكية . وهذا الامر لا يشكل مرتكزا رئيسيا للقضية في تفكيرها هي بالذات (خطب عبد الناصر وتصريحاته قبله حيزران وبعده) .

لقد فعل الاتحاد السوفياتي ومنه البلدان الاشتراكية كل ما يستطيع ان يفعل بالنسبة لمعركة العرب الراهنة ، وما تبقى يجب ان يفعله العرب انفسهم . واذا كان ثمة خلل في الموقف العام ، فهو خلل يعود الى ظروف تطور سياسة التعامل السلمي ، ونظرة الاتحاد السوفياتي الى العلاقات مع امريكا ، وظروف الخلاف الصيني السوفياتي الذي يضعف مواقع التحرر الوطني في العالم .

الصين الشعبية - كان الموقف الصيني من قضية فلسطين ولا يزال يتصف بثورية صافية ادركت منذ انبثاق طبيعة وجود اسرائيل كامتداد وقاعدة للامبريالية الامريكية ، وطالبت بازالة هذا الوجود ، وقدمت من اجل ذلك ما تستطيع من مساعدات للعرب . وقد بادرت في المعركة الاخيرة الى اعلان موقفها وتقديم مساعدات من القمح والنقد النادر لمصر . واتخذت فيتنام الشمالية وكوبا مواقف مماثلة ، تختلف عن موقف الاتحاد السوفياتي ، بانها ترفض وجود اسرائيل كدالة من الاساس .

عدم الانحياز - تواجه سياسة عدم الانحياز منذ سنوات ازمة حادة . فالولايات المتحدة تصطاد ركائزها الاساسية في آسيا وافريقيا الواحدة تلو الاخرى . وبعد غياب نهرو وسوكارنو ونكروما ، غرقت الهند في خضم مشاكلها العديدة ، وعلى رأسها الجوع والبؤس ، واقامت وكالة الاستخبارات الامريكية في جاكارتا حكما تابع للامبريالية الامريكية واسقطت حكم نكروما ، الذي كان يمثل ، على علته ، طليعة الحركة التحررية في افريقيا ، الى جانب انظمة الحكم في غينيا ومالي وتنزانيا ، التي لا يزال ارتباطها الاقتصادي الوثيق بامريكا واوروبا يشكل الثغرة التي نفذت منها المخابرات الامريكية الى نظام نكروما .

ولم يبق من "كبار" عدم الانحياز الارجلين ، تيتو وعبد الناصر . اما تيتو فيقف على ارضين ، ارض المعسكر الاشتراكي ، وارض عدم الانحياز في وقت واحد . وقد شارك تيتو في مبادرات احزاب ودول المعسكر الاشتراكي ابان الازمة الاخيرة . ولقد بدا صوت "عدم الانحياز" ضعيفا خافتا وهويتقدم ، بزعامة يوغوسلافيا بمشروع قرار الى الجمعية العامة للامم المتحدة ، لم يلحق تأييدا العديد من الدول "المحسوبة" على عدم الانحياز ، ليس فقط لان دول العالم الثالث تكاد تختنق بمشاكل اقتصادية وسياسية ، وليس فقط لان الولايات المتحدة مارست ضغطا عنيفا على الكتيبة من هذه الدول ، بل ايضا لان اسرائيل استطاعت خلال السنوات العشر الماضية ان تقدم لدول افريقية ناشئة ومستقلة حديثا مساعدات اقتصادية وتقنية وعسكرية وعلمية ، يصعب على هذه الدول ان تدير ظهرها لها .

لقد آن للدول ذات الانظمة السائرة في الطريق الاشتراكي ان تطرح هذا السؤال : لماذا الحياد الايجابي وعدم الانحياز ؟ . ان تجربة هذه المرحلة (منذ باندونغ ١٩٥٥) كافية لان تدرك هذه الدول ان الاستقلال السياسي ، والارتباط الاقتصادي بامريكا والغرب والقبول بالاشتراكية ، ليس كلاما منطقيًا متناسقا ، وان التجربة العملية في اندونيسيا وفي غانا ، على الاقل ، اثبتت بشكل قاطع ان طريق الاشتراكية هو طريق الاستقلال السياسي والاقتصادي عن الاستعمار القديم والجديد ، وتنسيق علاقات متساوية متكافئة مع العالم الاشتراكي ، وربط مصير هذه الانظمة بمصير الثورة العالمية كلها ، من كوبا الى فيتنام ، وفي الداخل السيطرة السياسية والاقتصادية الكاملة للطبقة العاملة .

لقد خسرت الانظمة الديمقراطية الوطنية السائرة في طريق لارأسمالي الكثير من مواقعها ، ليس فقط ، لان الامبريالية الامريكية قوية ، بشبكاتها الاقتصادية الرهيبة وبشبكة مخابراتها ، وقواعدها العسكرية المزروعة في اقطار كثيرة من العالم ، بل لان هذه الانظمة لاتزال تتردد في ضرب الركائز الاساسية للامبريالية العالمية في قلب اقطارها .

اوروبا : اتصف الموقف الاوروبي على صعيدى الحكومات والرأى العام بالعداوة الشديدة للعرب ، والعطف على اسرائيل ، باستثناء موقف الجنرال ديغول الذى جاء منسجما مع موقفه العام من الامبريالية الامريكية ، وسار خطوات واسعة على طريق الصداقة العربية الفرنسية ، فاقف تزويد اسرائيل بالسلاح الفرنسي ، وساند مشروع دول عدم الانحياز في الامم المتحدة ، ولام اسرائيل وندد بها باعتبارها البادئة بالعدوان .

هذا الموقف يمكن اعتباره موقفا ديغوليا ، اكثر منه فرنسيا ، فثمة عدد كبير من الوزراء الفرنسيين ، حتى رئيس الحكومة جورج بومبيدو ، لا يذهبون بعيدا كما ذهب الجنرال ديغول . وليس هناك اى دليل يؤكد امكان استمرار كمثل هذا الموقف بعد ديغول (وربما اثنا ولايته بسبب ضغط القوى اليمينية وعلى رأسها حزب ديغول) ولم يكن موقف اليسار الاوروبي ، بما فيه الفرنسي ، باستثناء الاحزاب الشيوعية يقل تأييدا لاسرائيل ، عن احزاب اليمين والوسط .

امريكا واسرائيل : يمكن اعتبار موقف اسرائيل والولايات المتحدة موقفا واحدا . حتى ان بعض وفود الامم المتحدة ، لم تكن تميز الوفد الاسرائيلي عن الوفد الاسرائيلي وبالعكس ، عندما كانا يتحدثان من على منصة الجمعية العمومية .

ولقد بدا واضحا خلال سير الاحداث ، ان اسرائيل وامريكا ستجران الموقف الى
ناسى حالات التصلب والتشدد ، والفرض ، هو الحصول على اعتراف عربي وسلم دائم .
ان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين والامريكيين في الامم المتحدة وخارجها ،
تؤكد بان البلدين المعتدين ينويان افلات هذه الفرصة ، من ايديهما ، بدون ثمن
يفرض على العرب ، المهزومين عسكريا .

وتعتمد اسرائيل في موقفها المتصلب على احتلال الاراضي العربية ، وتعتقد
الولايات المتحدة بان الانظمة العربية المتحررة لن تستطيع ان تصمد طويلا ، وانها
ستفطر في منتصف الطريق ، ان تساوم ، ان لم تستسلم .
والحقيقة ، ان الوضع كله ، يتوقف ، في آخر الامر ، على مدى استفادة الانظمة
العربية التقدمية والاحزاب اليسارية العربية من التجربة المرة . واذ كنا ، لانشير
بشي الى الدول العربية ذات الانظمة الرجعية ، فلنقتنا بان هذه الانظمة الخادمة
للامبريالية الامريكية هي حليف غير مباشر لاسرائيل ، وليس ثمة فائدة ترتجى من كل
الدعوات للتنسيق معها ، ولوحدة الموقف العربي ... وغير ذلك من التلبي على شكل
"وتمراوزرا" او رؤساء وملوك

ولقد وقف اليسار الاوروبي الى جانب اسرائيل ، ولم يشارك الرأي العام في
البلدان الاشتراكية حكوماته اهتمامها بالوضع والمسؤولية في كل ذلك تقع على
الانظمة التقدمية وعلى الاحزاب اليسارية في البلاد العربية .
مسؤولية الانظمة التقدمية العربية : ان بنا نظام اشتراكي يكون بالفعل والواقع جزءا
من الثورة العالمية لن يتم بمعزل عن مبادرة الجماهير الثورية المنظمة ، صاحبة
المصلحة بالثورة وبالاشتراكية .

اعرب رئيس الجمهورية العربية المتحدة في خطابه بذكرى الثورة عن حيرته
ماذا تقدم الاذاعة اغنيات عاطفية ام اناشيد وطنية ؟ . والسؤال ، بالفعل ، محير ،
بالنسبة لنظام لايعرف اين يقف ، في وقت يشتد ضغط الاحتلال الاسرائيلي ، ويشدد
ضغط اليمين المصري ، وتقف الجماهير عزلاء ، لاتستطيع ان تفعل الكثير لحماية
النظام الذي يفترض ان يكون نظامها . وكما يكون السؤال مستهجنا لو طرح فسي
الفيتنام مثلا ؟ . ان الشعب هو الذي يصنع اغنياته وانشيده ، تنبع من داخل
تجربته . وبمستوى التجربة يكون النشيد وتكون الاغنية .

ان المهمات المباشرة المطروحة على الانظمة التقدمية ، العربية ، لكي تكون
بالفعل جزءا من الثورة العالمية ، تكتسب عن جدارة تأييدها وثقتها : بنا
التنظيم السياسي الديموقراطي لتحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الوطنية والاشعة
الثوريين ، بقيادة الطبقة العاملة ، بافساح المجال لتفتح الامكانات القيادية ، وتكوين
الكوادر وقطع العلاقات الاقتصادية مع الغر والولايات المتحدة ، وجعل الاقتصاد الوطني
لهذه الاقطار حلقة من سلسلة اقتصاد الاسرة الاشتراكية .

ليست الاشتراكية من اجل ان ننال المساعدات من الاتحاد السوفياتي ، ولا من
اجل ان يقاتل السوفيات على ارضنا وفي معركة هي معركتنا . بل من اجل ان
نخلق من شعبنا شعبا مقاتلا ، مكافحا ، واعيا ، منظما ، قادرا على حماية ثورته
وعلى دفعها وتطويرها لتكون نموذجا تحتذي به الشعوب العربية التي تخفق في ظل
الانظمة الرجعية الفاسدة .

مسؤولية الحركات والاحزاب اليسارية العربية :

مسؤولية هذه الحركات والاحزاب مزدوجة : توعية الجماهير العربية وتنظيمها في الداخل ، وايجاد حوار دائم مع الاحزاب والحركات اليسارية في العالم ، حوار فكري واسهام عملي في قضايا التحرر العالمي ، لقد كنا بحاجة الى تجربة هـ حزيان ليدرك المواطن العربي علاقة كفاية شعب فيتنام ضد الامبريالية الامريكية ، بقضيته وبكفاحه في فلسطين . ذلك لان التنظيمات اليسارية العربية لم تصرف دقيقة من وقتها الثمين على توضيح مثل هذا الارتباط .

ان الثورة ممارسة يومية ، تدخل ادق تفاصيل السلوك الشخصي ، ونحن لاتزال نلوكها ولا نمارسها وان نكس هـ حزيان ستكون اكبر واشمل واخطر اذا لم نرد عليها : بالثورة الاشتراكية .